الصوفية

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار

جلال الدين الرومي

الدكتور/ تقي الدين الهلالي

اليونسكو وتكريم شيخ الطريقة المولوية

الصوفية

مجلة تصدر كل شهرين
عن موقع الصوفية

العدد الخامس
رمضان ١٤٢٨هـ - سبتمبر ٢٠٠٧م

الهيئة الاستشارية للمجلة

د. عبد العزيز آل عبد اللطيف
الشيخ عبد المجيد الريمي
أ.د / الأمين الحاج أحمد
الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق

هيئة تحرير المجلة

حسن بن علي البار
عبد الرحمن بن محمد الهرفي
محمد بن عبد الله المقدي

- ترحب المجلة بإسهامات الكتاب في شتى موضوعات التصوف.
- ترحب المجلة بتعقيبات القراء ومراجعاتهم حول ما ينشر في المجلة.
- الموضوعات المطروحة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

بريد التحرير
a@alsoufia.com

الصف والتنسيق
www.alsedeeq.info

تصميم وإخراج
أبو حماس عبد الحكيم قاسم
abdulhakem@maktoob.com

في هذا العدد

الإفتتاحية.. قافلة الإيمان		٣
قالوا في التصوف.. عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي		٤
عبادات تحت الضوء.. الذكر باللفظ المفرد عند الصوفية		٥
الطرق الصوفية.. الكاكائية		٧
هؤلاء تركوا التصوف.. تقي الدين الهلالي		١٠
من مشكاة النصح.. أيهم زعيم يتبنى هذه الحكايات		١٥
الطريق نحو التزكية.. لحظة من فضلك هل تريد أن تحيا؟		١٧
منارات.. الطرق الصوفية وتعطيل الوحدة الإسلامية		٢٢
متابعات	من البريد	٢٣
	التيجانية هل تحكم المغرب الإسلامي	٢٦
	السعي لإحياء أفكار ابن عربي جزء من تضليل أمتنا	٢٧
	نصارى السودان يدعمون الصوفية بمائة مليون جنية سوداني	٢٧
	حتى موالد النصارى لم يتخلى عنها الصوفية	٢٧
	عميد كلية القرآن بمصر: المبايعة وأخذ العهد فريضة وواجب	٢٧
	فرقة صوفية تونسية تحتفل بليلة النصف من رجب على أنغام الموسيقى	٢٧
	المشيخة العامة للطرق الصوفية بمصر تتبرأ من الطريقة العزمية	٢٨
	الشيخ القرضاوي يدعو الطرق الصوفية لتنقية معتقداتها من الشوائب	٢٨
	المغرب من أكبر البلدان الإسلامية احتضانًا لظاهرة الأضرحة والمزارات	٢٨
	السفارة الإيرانية .. تسعى لنشر التشيع بمصرعن طريق الصوفية	٢٨

من أمام الكعبة المشرفة يجري القلم ممتطيا صهوة الحروف العربية الأصيلة متصيدا شيئا من نفحات الله جل في علاه، يرى المرء الأحمر والأسود والأبيض يطوفون حول الكعبة؛وآخرين قد تعلقوا بأستارها، وغيرهم قد وقفوا لتقبيل الحجر الأسود، مناظر تحرك مكامن النفس وتستسقي العين، ولا يملك اللسان إلا أن يسبح بحمد ربه الذي جمع القلوب على تعظيم هذا البيت، فقد حاز هؤلاء شرف زيارة البيت المعظم استجابة لنداء الخليل عليه السلام: ((وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)) [الحج:٢٧]، وقد تزودوا بالشرف والمكانة بزيارتهم لبيت ربهم طاعة لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وعند ذكر محمد صلى الله عليه وسلم تسكب العبرات بل تسيل الروح شوقا لهذا النبي الكريم، فما خلق الله أشرف ولا أزكى ولا أكرم منه، وكم وقف بهذه الرباع المقدسة، وكان له بها مواقف عظيمة ومآثر جليلة فهاهو يطوف حول البيت وكلما مر بملأ قريش يتمايلون ضحكا عليه؛وهو يسبح ربه ويقدسه، وقد شمخت روحه الطاهرة الشريفة إلى الملأ الأعلى، وهم يزدادون حمقا وسفها وفجورا فيتمايلون من شدة الضحك تمايل السكران، وأي ألم أشد على نفس الحر من سخرية حثالة الخلق وسقط المتاع؟؟، ولما بلغ السيل الزبا، قال لهم وهو الواثق بربه:يا معشر قريش لقد جئتكم بالذبح، فقد كان ينصر الله فوثق بنصر الله ((.. إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) [محمد:٧].

وفي مشهد ثاني:يجتمع عليه الأراذل ويطوقونه وقد بلغ بهم الفجور كل مبلغ بل بلغ الكفر أعلاه ـ وكله سفول ـ فضربوه ـ فداه نفسي ـ فجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وكله أمل أن يفوز بفداء الحبيب فرمى بنفسه فوق النبي صلى الله عليه وسلم ليجعل ظهره درعا ويتلقى الضربات عنه، وصدق القائل:

ترى الرجل النحيل فتزدريه وفي أضماره أسد هصور

وهو السيد المقدام والصديق الأكبر، فحمى بجسده الضعيف حبيبه وخليله وسيده حامل لواء الحمد المحمود الأحمد صلى الله عليه وسلم ـ فداه نفسي ونفس كل مؤمن موحد ..

وفي مشهد ثالث: يخر ساجدا لربه فهو عبد الله ورسوله ـ وهذا أشرف أوصافه ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى..)) [الإسراء:١] فيفكر بعض الأشقياء ثم يقدروا وبأس ما قدروا، وتأمروا ـ وعلى نفسها جنت براقش ـ فقام فويرة فويسق جهول كذوب مخذول مأفون فحمل سلى الجزور العفن القذر ووضعه على ظهر الطاهر البر التقي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأي جريمة ارتكب وأي قبح فعل، أليس لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ؟!!

وفي مشهد رابع: يدخل المسجد الحرام وعلى رأسه المغفر وقد ذل وخضع وسالت دموع الحزن على أهله فما طمعت نفسه الشريفة أن يقهر أهله ويذل ربعه فكم دعاهم للعز والشرف فأبوا إلا الذل بحربه وأفحشوا في سبه، ولكن محمد هو الرحمة والرحمة هي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكنه جرد سيف الله وسار باسم الله ومع أهل الله وذلل نفسه لله فذل له كل شيء، ولم يثأر لنفسه ولم ينتقم ممن قتل أهله وإخوانه بل عفا وصفح، وهذا دأب من سمت نفسه وعلت همته.

وهناك حطم طواغيت الشرك والبدعة والخرافة، وصرخ بالإيمان والتوحيد والسنة ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)) [الإسراء:٨١]

فواحسرة على العباد اللذين ينتسبون لهذا النبي صلى الله عليه وسلم ومع هذا يحفرون أخاديد البدعة أو الشرك ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ❖ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً)) [الكهف:١٠٣، ١٠٥].

وفي مشهد أخير: يقف على صعيد عرفات وقد خرج من مكة ليعلن للناس أسمى وأرقى المواثيق التي لم تعرف البشرية أصدق منها وهناك تنزلت الرحمات، ونالت الأمة أشرف المكانة بنزول آخر آية في كتاب الله ((...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً..)) [المائدة:٣] فمن زاد في الدين بعدها فقد رفضها وكذب بها واستكبر عليها، فويل له ثم ويل له يوم المعاد، فإن الربّ جل في علاه جمع كل خصال الخير والإيمان لمحمد صلى الله عليه وسلم فمن زاد عليه فقد انحرف عنه وألحد في حبه وغبن نفسه وأهلك عمله ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ❖ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)) [آل عمران: ٣١، ٣٢].

الافتتاحية

قافلة الإيمان

ومع رحمته العظيمة وسيل شفقته الكريمة وإحسانه الذي غلب الإحسان فقد اشتد غضبه واحمر وجهه على من زاد في شرعه، وجعل من زاد على أمره قد طعن في تقواه وخشيته لربه فقال:أفما لكم في أسوة فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده.

ورفع صوته بالتوبيخ والنكير على من قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت؛ فقال: ويلك ، جعلت لله عدلا ، بل ما شاء الله وحده.

فقسى ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

فيا حادي الركب سر على خطى محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنحرف عنه فتسقط القافلة في هاوية البدع والشرك ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا... وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [آل عمران:١٠٣]، وتضرع إلى الله بصدق وإخلاص، وقل بكل رجاء: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق، فإنك أنت تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، واستعن بنجوم السماء في سيرك أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فهم أقطاب الرحى وسادة الدنيا، وجعل حِلّك وترحالك بخبر وأثر، وأنتم يا رواد قافلة الإيمان وضيوف الرحمن رددوا في السر والإعلان قول سيد الأنام: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)).

قال أبو علي الفضيل بن عياض رحمه الله: (ألزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السائرين، وإياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين).

عبد الرحمن ابن خلدون الحضـــرمـــي

يقول ابن خلدون "رحمه الله" في معرض كلامه عن المهدي واعتقاد الصوفية فيه: ثم حدث أيضاً عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس.

وظهر في كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضاً القول بالقطب والأبدال، وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء.

«وظهر في كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الإله فيهم»

وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم، حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة، أن علياً رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة. واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم. ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح.

ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه، بل الصحابة كلهم أسوة في طرق الهدى، وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية، يفهم منها ومن غيرها مما تقدم دخولهم في التشيع، وانخراطهم في سلكه.

وظهر منهم أيضاً القول بالقطب، وامتلأت كتب الإسماعيلية من الرافضة، وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر.

وكان بعضهم يمليه على بعض، ويلقنه بعضهم من بعض، وكأنه مبني على أصول واهية من الفريقين.

وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين في القرانات، وهو من نوع الكلام في الملاحم، ويأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا.

وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي، ابن عربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب، وابن قسي في كتاب خلع النعلين، وعبد الحق بن سبعين، وابن أبي واطيل تلميذه في شرحه كتاب خلع النعلين.

وأكثر كلماتهم في شأنه ألغاز وأمثال.

(مقدمة ابن خلدون: ص ١٧٨).

وقال أيضاً عن كتب الصوفية : وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلّة، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس، مثل (الفصوص) و(الفتوحات) لابن عربي، و(البُدّ) لابن سبعين، و(خلع النعلين) لابن قسي، و(عقد اليقين) لابن بَرَّجان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض، والعفيف التلمساني، وأمثالهما، أن تُلحق بهذه الكتب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض، فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها، إذهاب أعيانها متى وجدت التحريق بالنار والغسل بالماء، حتى ينمحي أثر الكتابة، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين، بمحو عقائد المضلة)).

العقد الثمين للفاسي: ٢- ١٨٠

وقال ابن خلدون عن ظهور السحر على أيدي بعض المتصوفة: (هذا العِلم - السِّحْر - حَدث في المِلّة بعد صدر منها، وَعنْد ظُهور الغُلاَة من المتصوفة: الحلاَّج، ابن عربي، العَفيف التِّلِمْساني، ابْن سَبعين، ابن الفارض وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه. وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهر أرواح والأفلاك والكواكب وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان) مقدمة ابن خلدون: (ص:٩٣٠).

ويقول ابن خلدون في مقدمته عن الاختلاط العقدي عند الفرق الضالة: (... وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم. وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة القائلين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر.

واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم. وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين. يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله. ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان.

وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الإشارات في فضول التصوف منها فقال: جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد. وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية، ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به.

ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء. حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم ونحلتهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى أيضاً. وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال. بل كان أبو بكر

فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها، إذهاب أعيانها متى وجدت التحريق بالنار والغسل بالماء، حتى ينمحي أثر الكتابة، لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين، بمحو عقائد المضلة. العقد الثمين للفاسي ١٨٠/٢

وعمر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة. ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة. تشهد بذلك سيرهم وأخبارهم، نعم إن الشيعة يخيلون بما ينعلون من ذلك اختصاص علي رضي الله عنه بالفضائل دون من سواه من الصحابة ذهاباً مع عقائد التشيع المعروفة لهم.

والذي يظهر أن المتصوفة بالعراق، لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة وظهر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها ما هو معروف، اقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن، وجعلوا الإمامة لسياسة الخلق في الانقياد إلى الشرع، وأفردوه بذلك أن لا يقع اختلاف كما تقرر في الشرع. ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين، وأفردوه بذلك تشبيهاً بالإمام في الظاهر، وأن يكون على وزانه في الباطن وسموه قطباً لمدار المعرفة عليه، وجعلوا الأبدال كالنقباء مبالغة في التشبيه فتأمل ذلك.

(مقدمة ابن خلدون: ص ٤٧٣).

الـذكـر باللفـظ المفـرد عنـد الصـوفيـة

د. محمد أحمد لوح

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين... وبعد:

فقد تمادى صَنَعَةُ الفكر الصوفي في تجاوزاتهم وغلوهم؛ فأباحوا للشيوخ أن يشرعوا لأنفسهم ولأتباعهم ذكراً غريباً لم يعرفه الجيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم على السنة، بل ولا عرفه نبي الأمة صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهو الذكر باللفظ المفرد مُظهراً كقولهم: الله، الله، الله، أو: حي، حي، حي، أو مضمراً كقولهم: هو، هو، هو، أو ها، ها، ها. ففي السطور الآتية نماذج من نصوص الصوفية التي توضح هذا الأمر:

سأل الشعراني شيخه الخواص فقال: هل لنا الذكر بقولنا: (هو، هو)، و(ذا، ذا)، و(كا، كا)، أو نحو ذلك من أسماء الإشارة؟

فأجاب: نعم، لنا الذكر بذلك، بشرط الحضور خلافاً للغزالي، فيما عدا الذكر بـ(هو) فإنه قال: إن (ذا) و(كا) يطلب التحديد، وكان الحلاج يقول: إنما منع من ذلك من لا ذوق له في الطريق[1].

وعن الفوتي: فلا حرج على الذاكر ما دام مسلوب الاختيار، يستعمله كيف شاء على أنواع مختلفة كلها محمودة، وصاحبها مشكور عليها، فلها كلها أسرار، فربما يجري على لسانه: (الله، الله، الله)، أو (هو، هو، هو)، أو (لا، لا، لا، لا، لا، لا)، أو (آ، آ) (بالمد)، أو (أ، أ، أ، أ، أ، أ، أ) (بالقصر)، أو (آه، آه، آه، آه، آه)، أو (ها، ها، ها، ها، ها، ها)، أو (هـ، هـ، هـ)[2].

ولا تظن أن قوله: (ما دام مسلوب الاختيار) يعني أن مثل هذه الألفاظ ترد فقط على ألسنة من فقد الوعي منهم، بل نجد مثلها مقرراً في أخص الأذكار الصوفية التجانية التي لا تلقن إلا للخواص من أهل الطريقة. فالذكر المعروف

> ولكن الصوفية اتخذوا رياضة تكرير اسم (الله) أو ترديد بعض العبارات الدينية... مصحوباً بتنغيم آلي وحشد تام لجميع القوى حول هذه الكلمة المفردة أو العبارة

عندهم بـ(ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق)؛ مثلاً أوله: (الله، الله، الله)، وآخره: (لله، لله، لله، آه، آه، آه، آمين، هو، هو، هو)[3].

ومن العجيب حقاً: أنهم يقدمون هذه الأذكار المبتدعة التي شرعوها على الأذكار الشرعية العبارة. وهم يجعلون لهذه العبادة غير الموقوتة من الأهمية في وصلهم بالله وصلاً غير منقطع ما لا يجعلون للصلوات الخمس، يؤديها في أوقاتها المفروضة بقية المسلمين[4].

قلت: فكأن هذا الرجل وقف على قول القشيري: والصلاة- وإن كانت أشرف العبادات- فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات[5].

يعني أن ذكرهم أفضل من الصلاة من بعض الوجوه، والقشيري يبذل جهداً كبيراً في رسالته للترويج لهذا النوع من الأذكار؛ فيقول مثلاً: كان من بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول: (الله، الله). فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج

رأسه وسقط الدم فاكتتب على الأرض (الله الله)[6].

وبدعية هذا النوع من الأذكار أمر واضح لا يحتاج إلى كثير بيان، بل هو ذريعة إلى ضلالات لا يعلم مداها إلا الله، حتى قال شيخ الإسلام: وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد[7].

وقال أيضاً: والذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمراً بدعة في الشرع، وخطأ في القول واللغة؛ فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ولا كفراً[8].

وقال: فأما الاسم المفرد مظهراً مثل: (الله، الله)، أو مضمراً مثل: (هو، هو)، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين[9].

وقال: وكذلك ظهر بالأدلة العقلية الذوقية أن الاسم وحده لا يعطي إيماناً ولا كفراً، ولا هدىً، ولا ضلالاً، ولا علماً ولا جهلاً. وقد يذكر الذاكر اسم نبي من الأنبياء أو فرعون من الفراعنة، أو صنم من الأصنام ولا يتعلق بمجرد ذكر اسمه حكم إلا أن يقرن به ما يدل على نفي أو إثبات، أو حب أو بغض، وقد يذكر الموجود والمعدوم[10].

والصوفية مبالغة في تنويم الآخرين واستغفالهم، فقد حاولوا الاستدلال على ذكرهم هذا بالقرآن والسنة:

أما القرآن؛ فقد تشبثوا بقوله تعالى: ((قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)) [الأنعام:٩١].

فزعموا أن معنى (قل الله): اذكر الله بهذا الاسم المفرد، وهو استدلال باطل ترد عليه الآية نفسها، كما بينها العلماء المحققون.

قال شيخ الإسلام: ولو تدبروا ما قبل هذا تبين مراد الآية؛ فإنه سبحانه قال: ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدَىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)) [الأنعام:٩١]

أي: قل: (الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى). فهذا كلام تام وجملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر، حُذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب، وهذا قياس مطرد في مثل هذا في

> وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين

كلام العرب، كقوله تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)) [لقمان:٢٥][11].

وقال أيضاً: واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله: ((قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)) [الأنعام:٩١] من أبين غلط هؤلاء؛ فإن اسم الله مذكور في الأمر بجواب الاستفهام وهو قوله: ((قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى)) [الأنعام:٩١] فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك[12].

وهذا الذي قاله ابن تيمية يطابق ما فسر به الآية أعلام المفسرين:

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ((قُلِ اللَّهُ)) [الأنعام:٩١] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي قل الله أنزله. وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة، لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معنى ((قُلِ اللَّهُ)) [الأنعام:٩١] أي: لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة؛ كلمة (الله). وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا تفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها[١٣].

وقال ابن جرير: وأما قوله: ((قُلِ اللَّهُ)) [الأنعام:٩١] فإن الله جل ثناؤه أمر نبيَّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه، بقوله: ((قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى)) [الأنعام:٩١] بقيله: (الله) كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله: ((قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...)) [الأنعام:٦٣]، ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله: ((قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ)) [الأنعام:٦٤][١٤].

وبمثل ذلك فسره جميع المفسرين المعتمدين[١٥].

أما السنة؛ فقد حاول الخواص أن يستدل بها على إثبات ذكرهم هذا، حيث سأله تلميذه الشعراني عن قوله- صلى الله عليه وآله وسلم: {لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: (الله، الله)}[١٦]. لِمَ كرره صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأجاب: إنما كرر الاسم مرتين ليثبت لنا بذلك أنه ذكر على الانفراد[١٧].

وهو استدلال ظاهر البطلان، ولكن لكي لا يبقى فيه متشبث لمبطل فإننا نزيد هذا الأمر وضوحاً فنقول:

أولاً: إنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كرر اسماً مفرداً في ذكره ولا مرة واحدة، ولا عرفه أحد من أصحابه، وليس أحد من سلف الأمة فَهِم من الحديث هذا الذي تقول به الصوفية. ولا ريب أن عمله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من بعده هو خير ما يفسر به كلامه، وقد وجدنا أن أذكارهم لم تكن إلا على الجمل التامة المفيدة للتوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى.

ثانياً: إن هذا الحديث ورد في روايات أخرى مفسراً بلفظ: {لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله}[١٨].

فإذا تقرر أن الحديث ورد بإسناد واحد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ (الله الله). وبلفظ: (لا إله إلا الله)، تعين الرجوع إلى أقواله الأخرى وأفعاله المروية عنه. وبهذا الرجوع نجد أنه صلى الله عليه وآله وسلم علم المسلمين أن يذكروا الله بكلمة لا إله إلا الله في غير ما حديث، بل وصرح بأنه أفضل الأذكار.

كما علمهم صيغاً أخرى كثيرة، وليس في صيغة منها تكرار لفظ الجلالة قط، ولا فعله أحد من أصحابه أبداً.

إذا تقرر هذا عُلم أن معنى الحديث أن القيامة لا تقوم وعلى وجه الأرض مؤمن.

> لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كرر اسماً مفرداً في ذكره ولا مرة واحدة، ولا عرفه أحد من أصحابه

ثالثاً: لا بد من الإشارة إلى أن استدلالهم بالقرآن والحديث في هذا إنما هو مجرد تلبيس وتلاعب بالعقول، وإلا فإن الكثير من أذكارهم لم يحاولوا البحث عن دليل لها لاستحالة وجوده بداهة كقولهم: (كا، كا)، و(ذا، ذا).

وأما التعليل الذي ذكره أبو العباس لابن عربي حين ذكر له أنه يذكر باللفظ المفرد؛ لأنه يخاف إذا قال: (لا إله إلا الله) أن يموت بين النفي والإثبات، فلا يخرج عن كونه تلبيساً آخر غير مسوغ للخروج عما ثبت بالسنة، ويظهر بطلانه من أوجه:

١- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمر المسلمين بذلك كان يعلم أن الأعمار بيد الله، ولم ينقلهم عن الذكر بالتهليل إلى اللفظ المفرد، وبذلك يكون الامتناع عن قوله: (لا إله إلا الله) استدراكاً على المعصوم، وفي ذلك من الخطورة ما لا يخفى.

> وكذلك ظهر بالأدلة العقلية الذوقية أن الاسم وحده لا يعطي إيماناً ولا كفراً، ولا هدىً، ولا ضلالاً، ولا علماً ولا جهلاً

٢- أن العبد لو أراد أن يقول: (لا إله إلا الله) ومات قبل كمالها لم يضره ذلك شيئاً، إذ الأعمال بالنيات، بل يكتب له ما نواه[١٩].

٣- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: {لقنوا موتاكم لا إله إلا الله} رواه مسلم وغيره[٢٠].

وقال لأبي طالب - وهو على فراش الموت - {يا عم! قل: لا إله إلا الله}[٢١].

فلو كان الخوف من الموت بين النفي والإثبات موجباً لترك (لا إله إلا الله) لم يأمر صلى الله عليه وآله وسلم بتلقينه لمن هو مشرف على الموت؛ لأن احتمال موته قائم في أي لحظة.

ومن أعجب استدلالاتهم: ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض الصوفية فقال: وأغرب من هذا ما قاله لي مرة شخص من هؤلاء الغالطين في قوله تعالى: ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)) [آل عمران:٧] قال: المعنى: وما يعلم تأويل (هو) أي اسم (هو) فقلت له - وأنا آنذاك صغير جداً - : لو كان كما تقول لكتبت في المصحف مفصولة (تأويل هو) ولم تكتب موصولة، وهذا الكلام الذي قاله هذا معلوم الفساد بالاضطرار، وإنما كثير من غالطي المتصوفة لهم مثل هذه التأويلات الباطلة في الكتاب والسنة[٢٢].

وجملة القول: أن هذا النوع من الأذكار يدخل ضمن التشريعات الصوفية التي بثها المشايخ على أتباعهم فاستبدلوها بالأذكار النبوية الثابتة فضلوا ضلالاً بعيداً، ولله درُّ الإمام ابن تيمية حيث يقول:

ومن أشد الناس عيباً من يتخذُ حزباً ليس بمأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان حزباً لبعض المشايخ، ويَدَعُ الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخلق وحجة الله على عباده[٢٣].

الهوامش:

(١) الجواهر والدرر (ص:٢٩٦). (٢) الرماح (١/١٦٨-١٦٩) عن يوسف العجمي. (٣) الرماح (١/٢٣٥- ٢٣٦).
(٤) الصوفية في الإسلام (ص:٥١).
(٥) الرسالة القشيرية (ص:٤٦٨).
(٦) المصدر السابق (٢/٤٧١).
(٧) مجموع الفتاوى (١٠/٢٣٣).
(٨) المصدر السالف (١٠/٣٩٦).
(٩) المصدر السابق (١٠/٥٥٦). وانظر: العبودية (ص:٤٨).
(١٠) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦١).
(١١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٩).
(١٢) العبودية (ص:٤٨).
(١٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٥١).
(١٤) جامع البيان (٧/١٧٩).
(١٥) انظر: البغوي؛ معالم التنزيل (٢/١٥)، والقرطبي؛ الجامع (٧/٣٨)، وابن الجوزي؛ زاد المسير (٣/٨٤)، والشوكاني (٢/١٣٩)، والمنار (٧/٦١٩)، والقاسمي (٦/٦٢٤). (١٦) مسلم: في الإيمان- باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (١/١٣١). (١٧) الجواهر والدرر (ص:٢٩٦).
(١٨) رواه أحمد (٣/٢٦٨) بإسناده عن أنس، وهو إسناد مسلم في رواية (الله، الله)، وابن حبان في صحيحه (٨/٢٩٩) (ح:٦٨٠٩) بالإسناد نفسه، وأبو نعيم في الحلية (٣/٣٠٥) وقال: هذا حديث صحيح ثابت عن أنس بن مالك، والحاكم (٤/٤٩٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. (١٩) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٧).
(٢٠) مسلم: في الجنائز- باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (٢/٦٣١). (٢١) سبق تخريجه في (١/١٦١).
(٢٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦٠).
(٢٣) المصدر السابق (٢٢/٥٢٥).

الكاكائية

رأفت صلاح الدين

الكاكائية هي إحدى الجماعات والفرق التي تنتشر في شمال العراق، ويختلف المؤرخون والباحثون حولها اختلافاً كبيراً بسبب الغموض والسرية والرمزية التي تحيط عقائدهم، إضافة إلى تداخل الأديان والمذاهب في عقائدهم.

بدأت الكاكائية تنظيماً اجتماعياً عفوياً قائماً على الشباب والفروسية، ثم دخل إليها مزيج من الأفكار والعقائد المستمدة من التصوف والتشيع المتطرف والمسيحية والفارسية، وهي ليست ديناً أو مذهباً خاصاً ولكنها خليط من الأديان والمذاهب، ولعلها حركة باطنية سرية.

أصل التسمية: الكاكائية نسبة إلى كلمة (كاكه) الكردية وتعني "الأخ الأكبر" وبهذا تكون الترجمة الحرفية لكلمة الكاكائية، "الأخية".

ويقال في سبب تسميتها أن أحد رؤسائها المؤسسين لها كان من السادة البرزنجية في أنحاء السليمانية فبنى تكية في قرية برزنجة وضعت لسقفها العمد، ولكنها قصرت عن جدران البناء فقال لأخيه: مدها أيها الأخ "كاكا" ومن ثم مدّها، فطال الخشبُ كرامةً، وصاروا يدعون "بالكاكائية" لهذه الحادثة.

موطنها: الكاكائية جماعة أو عشيرة كردية موطنها الرئيس هو مدينة كركوك، وعلى ضفاف نهر الزاب الكبير في منطقة الحدود العراقية الإيرانية. وتسكن أغلبها في كردستان الجنوبية وخصوصاً في كركوك وخانقين ومندلي وجلولاء وهولير والسليمانية وهورامان، وكذلك في كردستان الشرقية: في قصر شيرين وصحنة وكرماشان وسربيل زهاو. كما لهم وجودٌ ملحوظ في تلعفر. والساكنون منهم في كردستان الشرقية يسمون "أهل الحق". ويطلق عليهم أيضاً: الصارلية، واليارسانية.

البداية: الكاكائية طريقة صوفية ظهرت إلى الوجود على شكلها الحالي في القرن السابع الهجري على يد فخر العاشقين سلطان اسحاق البرزنجي المولود سنة (٦٧١) للهجرة. وسلطان إسحاق هو مؤسس ومجدد هذه الطريقة الصوفية والتي ظهرت بوادرها في القرن الثاني للهجرة على يد قطب العارفين عمرو بن لهب الملقب بـ (بهلول).

وكلمة يارسانية تتشكل من (يار) و(سان) في الكردية والفارسية، وتعني الأولى صديق أو محبوب، أما الأخرى فتعني الشاه أو السلطان، فيكون معناها أتباع أو أصدقاء سلطان إسحاق.

ولا يعرف لهم عدد حالياً، لكن عدّهم الكرملي عام (١٩٢٨) بحوالي عشرين ألف نسمة. لهم في كركوك (٦٠) بيتاً، وعلى نهر الزاب (٤٨٠) بيتاً، وفي خانقين نحو (٥٦٠) بيتاً.

أهم عقائدهم: تتصف عقيدة الكاكائية بالغلو الشديد ولعل أشد المؤثرين على عقيدتهم هو الحسين بن منصور الحلاج. والكاكائية لا يصرحون بعقيدتهم ولا يعلنون عنها، ويذكر اعتقادهم في تأليه الإمام (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه، على أن أبرز معتقداتهم كما يلي: الاعتقاد بالله تعالى: وهذا عندهم من أكثر العقائد غموضاً، فهم يرون أن الله سبحانه وتعالى لا يصح وصفه أو نعته ولا تسميته حتى، أو الاتصال به من طريق ما إلا في حالة واحدة بأن يظهر في الأشخاص رأفة منهم بهم وأنه سبحانه يبرز بطريقة.

وحدة الوجود: وهي ظاهرة في شعرهم، وهي أصل الحلول حيث لا يسلم بالحلول إلا بعد التسليم بوحدة الوجود وهم في هذا يشتركون

> والكاكائية لا يصرحون بعقيدتهم ولا يعلنون عنها، ويذكر اعتقادهم في تأليه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

مع الصوفية، حيث يعتقدون أن الكون هو الله، والكل يرجع إليه ويعود إلى حقيقته.

التناسخ: وهذا من عقائدهم الأصلية وهو نتيجة للحلول، فإذا لم يتم التناسخ فلا يكون الحلول أبداً، ومعناه عندهم انتقال الروح العادية من بدن إلى آخر حتى تطهر وتكون صالحة مجردة عما ارتكبته من أعمال أو ما اقترفت من آثام.

القرآن الكريم: الكاكائية لا يتلون القرآن، ويعد في نظرهم غير معتبر؛ لأنه من جمع عثمان رضي الله عنه.

اليوم الآخر: يقصدون به يوم " ظهور الله" في شخص وحلوله فيه، وهذا ينطبق مع اعتقاد الصوفية، كالاعتقاد باليوم الآخر من أركان الإيمان التي يجب على المسلم الإيمان بها.

ولبيان اعتقاد الكاكائية في اليوم الآخر بشكل أكثر، لننظر ماذا يلقنون موتاهم فهم يقولون للميت: إذا جاءك منكر ونكير فقل: عندي كذا حنطة وكذا شعير. وكلها مدخرة في المخازن الفلانية، فإذا لم يرض فأعطه صحن عدس، وفنجان خمر، فإن لم يقبل فقل: أنا كاكائي أغرب عني، واذهب إلى غيري! وحينئذ يذهب عنك وامض أنت إلى الجنة!!

وهذا الكلام يدل على أن الكاكائية لا يلقنون الميت الشهادتين ولا يبالون بالموت مما يؤيد الانتقال والتناسخ، ولذلك فإن الكاكائية لا يبكون على ميت بعويل وصراخ، والحزن غير جائز بل أنهم يحتفلون ويدقون الطبول!

ويعتبرون أن طريقتهم تقوم على أربعة أركان: الطهارة، الصدق، الفناء، والعفو.

١- الطهارة: حيث على كل واحد منهم أن يكون طاهراً، أي نظيفاً في الظاهر والباطن، ويجاهد النفس بجعلها نظيفة، سواء في الجسم، أو الروح، اللباس، الفكر، أو العمل.

٢- الصدق: أي السبيل الصحيح، والقيام بما امرنا الله به.

٣- الفناء في الله: بمعنى الابتعاد كلياً عن التكبر والغرور والأنانية وهوى النفس، والرذائل الأخلاقية، لكي يتم التسامي إلى الحق تعالى.

٤- العفو: أي المغفرة، والإحسان، حيث يجب على كل إنسان مد يد العون والمساعدة للمحتاجين، لكي يكسب رضا الله ومحبته.

ويقولون: إن من يستند إلى هذه الأركان الأربعة في حياته، يصل إلى مرحلة الفناء في الله، وتستجاب دعواته، وينال لطفه ورحمته.

وتجمع هذه الطريقة بين التصوف وبعض الأفكار الفلسفية من الأديان والمعتقدات الاخرى كمثال تناسخ الأرواح المقتبسة من البوذية. وبما أنها تعتقد بتناسخ الأرواح فإنهم يعتقدون بأن روح الإمام علي بن أبي طالب تتجسّد في جسد مؤسس الطريقة السلطان إسحاق البرزنجي، ولهذا فإن الكاكائية يغلون في الإمام علي، كما أن الكاكائية لها صلات قريبة مع العلوية والبكتاشية واليزيدية.

وقد ذكر عباس العزاوي من عقائدهم الخاصة أنهم يحرّمون الخمرَ، ويحترمون يومي الإثنين والجمعة، ويَتْلوَن الأدعيةَ الخاصّةَ بهم، ويقرّون الطلاقَ، ولكن برضى الرجل والمرأة، فهو عندهم كعقد الزواج، لا يجوز إلا برضى الإثنين، لكنهم لا يبيحون تعددَ الزوجات، وألا يتزوج الشيخُ ابنة مريده، ولا يتزوج المريدُ ابنة شيخه (الكاكائية في التاريخ ص ٧٠).

المؤسس سلطان إسحق: ولد سلطان إسحق عام (٦٧٥) هجرية، في قرية "برزنجة" التابعة لقضاء حلبجة، في محافظة السليمانية. والده هو عيسى بابا علي الهمداني، وأمه خاتون دايراك رمزبار. بعد وفاة والده نشبت خلافات بينه وبين إخوته، فانتقل إلى قرية شيخان، في منطقة هورمان، وتوفي عام (٧٩٨هـ)، وضريحه هناك. كان له العديد من المريدين من الصين والهند، بخارى

وأقاليم إيران، حيث حققت طريقته نجاحا كبيرا في عهده، وانتشاراً واسعاً.

وجاء في مذكرات " كاكاردائي" المخطوطة عن سلطان إساحق: (تلقى سلطان إسحاق العلم عند الملا إلياس الشهرزوري في خانقاه (الحجرات)، وفي شبابه انتقل إلى بغداد، ليواصل تعليمه في المدرسة النظامية، ثم في دمشق، خاتماً تحصيله فيها، ليرجع إلى مسقط رأسه، ويبني مسجداً، ويقوم بإرشاد وتربية الأهالي هناك، وبعد فترة يحج إلى بيت الله، ويعود إلى قرية برزنجة. بعد وفاة والده، وبسبب عدم الوئام مع إخوته، يهاجر إلى قرية شيخان في منطقة هورمان، ويؤسس طريقة " يارسان"، ويعيش هناك حتى وفاته).

إلا إن أنصار " أهل الحق " لا يقبلون بهذه الوثيقة أعلاه، مدعين بأن سلطان كان ينعم بعلم الغيب، ولم يكن بحاجة لتلقي العلم من البشر. ويمكن أن يستنتج من قصائد الملا إلياس الشهرزوري، أحد كبار علماء شهرزور، أن سلطان إسحاق قد تلقى العلم منه، وبسبب خلافاته مع إخوته، يتجه إلى قرية شيخان، ويؤسس طريقته التصوفية الجديدة.

وقد استعان في ذلك بعناصر مهمة من الأفكار الروحانية والدينية القائمة قبل الإسلام في إيران مثل الزردشتية والمزدكية والفكر اليهودي والمسيحي، وكذلك التيارات التي ظهرت بعد الاسلام، وخصوصاً في غرب إيران. وكانت لسلطان اتصالات بالنصيرية. وقد أنشد الشعر، وقصائده مدونة في كلام الخزانة، كما كتب كتاباً في تفسير القرآن، لكن ليست ثمة معلومات عن هذا التفسير.

أما مولده فإن أنصاره يرددون قصة مختلقة، حيث تقول القصة:... في يوم ما بينما كان الدراويش يعملون في الحقل، تأتي إليهم " دايراك" – أم سلطان- وتجلس عندهم، وفجأة يدوي صوت هائل في السماء، وتسقط قطعة نور حوالي " دايراك " فيحملها الدراويش إلى المنزل، وبعد فترة تلد ولداً، سموه " سان إسحاق " أو " سلطان إسحاق "، ويرى الدراويش بأبصارهم الداخلية، علامات الإلهية على جبين الوليد. وعندما يتأمل داود أعمال سلطان إسحاق، يدرك بأنها تجليات إلهية، وأن أمامه آفاقاً رحبة، ويحمل مستقبلا باهرا للمنطقة. وفي اشتداد عوده، تبدو علامات النباهة واضحة عليه، مما يثير دهشة الشيخ عيسى، فيأخذه معه إلى مكة لحج بيت الله، ويلاحظ إشارات الفيوضات الإلهية على ابنه، وعندما ينوي أن يشهد على ذلك، يفقد النطق، وفي طريق العودة يقضي نحبه، فيعود سلطان إسحاق إلى مسقط رأسه ثم يبدأ بتأسيس طريقة " أهل الحق".

أبرز شخصياتهم التاريخية والمعاصرة:

١- الإمام أحمد ابن ميره بك: وهو حفيد إبراهيم بن محمد بن السلطان إسحاق. ولد في كركوك في القرن الثامن الهجري. كان والده قد ترك شهرزور وقصد هذه المدينة للتبشير بالكاكائية. وقد التف الكثيرون من أكراد كركوك حوله. واشتهر بين العامة من الناس بالإمام أحمد، أما الكاكائية فيسمونه بـ (الخان أحمد) وقد توفي في نهاية القرن الثامن للهجرة ودفن في محلة المصلى بكركوك. ضريحه والمقبرة التي تضمه تسمى باسمه أي الإمام أحمد. وقد دأب سادة الكاكائية بدفن موتاهم في هذه المقبرة منذ القرن الثامن للهجرة. وهناك اعتقاد سائد بين الناس وخصوصاً كاكائية كركوك بأن الإمام يشفي المرضى، لذا فإن الناس يقصدون ضريحه للشفاء من الأمراض. واليوم المفضل لزيارة الإمام هو يوم الأربعاء.

> وتجمع هذه الطريقة بين التصوف وبعض الأفكار الفلسفية من الأديان والمعتقدات الاخرى كمثال تناسخ الأرواح المقتبسة من البوذية

٢- العم نظر الكرمياني: هو ابن عم قيصر ابن محمد ويعرف بـ (درويش نظر الگرمياني) ولد في كركوك سنة (١٧٨٦م). كان عالماً بأصول الصوفية، وكتب الكثير من أشعار التصوف باللغة الكردية. توفي سنة (١٨٧٥م) ودفن في مقبرة أبو علوك في كركوك. وكان العم نظر ملحناً أيضاً فقد كان يضع الألحان لأشعاره الدينية بنفسه ويغنيها. كان يعزف على آلة الطنبور وألحانه تسمى بالنظرية.

٣- الشيخ پيرويس سيابيم: هو ابن محمد بن حمه أمين، من عائلة خوبيله، ولد في كركوك سنة ميلادية.

تعلم علوم زمانه من العم نظر الگرمياني. أصبح ضابطاً في الجيش العثماني ونال رتبة (بين باشي) سنة (١٨٤٧)، ترك صفوف الجيش ليتفرغ لشؤون الدين والتصوف، وكان من علماء المتصوفة. ألف مجموعة من الأشعار الصوفية باللغة الكردية في مديح الباري عز وجل، وفي مديح السلطان إسحاق البرزنجي وأصحابه. توفي سنة (١٨٩٢) ودفن في مقبرة المصلى في كركوك.

٤- السيد ولد أفندي: واسمه الحقيقي هو إبراهيم أدهم محمد إبراهيم آغا. ولد في كركوك سنة (١٨٥٠) في محلة المصلى. عمل من (١٨٨٠) إلى (١٩١٣) كموظف في كركوك ثم كضابط في الجيش العثماني برتبة (بين باشي) ثم كعضو في مجلس بلدية كركوك وعضواً في المحكمة العسكرية. توفي سنة (١٩١٧) ودفن في مقبرة الإمام أحمد.

٥- خليل آغا: هو ابن محمد بن إبراهيم بن رستم، وهو من سادة الإبراهيمية، ويرجع أصله إلى السلطان إسحاق البرزنجي. ولد في مدينة كركوك سنة (١٨٥٦) للميلاد. كان رجلاً متعلماً، واختير رئيساً لعشيرة الكاكائية. عين في زمن السلطان عبد الحميد عضواً في محكمة كفري. اشترك على رأس مجموعة من المقاتلين الكاكائيين في معركة الشعيبة يوم (١٥) نيسان (١٩١٥) ضد القوات البريطانية. توفي سنة (١٩٣٢) ودفن في مقبرة الإمام أحمد في المصلى بكركوك. وهو والد فتاح آغا الكاكائي الذي أصبح رئيس عشيرة الكاكائية بعد وفاة والده.

٦- هجري دده: واسمه محمود ابن الملا علي ابن العم نظر الكرمياني ، ولد في كركوك سنة (١٨٧٧). كان رجلاً متعلماً يكتب الأشعار باللغات الكردية والتركية والفارسية. عمل معلماً في مدرسة السلطانية في كركوك ثم في مدرسة القلعة. وتولى رئاسة تحرير صحيفة كركوك من العدد (٦٦). وقد صدر العدد الأول منها سنة (١٩٢٦) واستمرت في الصدور حتى سنة (١٩٧٢). توفي (هجري دده) يوم (١١) من كانون الأول (١٩٥٢) ودفن في مقبرة أبو علوك في كركوك على جانب جده العم نظر الكرمياني.

٧- الملا فتح الله ابن حويش: المولود في محلة المصلى في كركوك سنة (١٨٦٣) وقد فتح مدرسة على حسابه الخاص في محلة بريادي بكركوك. توفي سنة (١٩١٩) ودفن في مقبرة المصلى في كركوك.

٨- كمال طاهر عزيز: رئيس عشيرة الكاكائية الحالي في العراق.

أهم كتبهم:

١- خطبة البيان: من أشهر ما عرف عنهم، يعدونها من أعظم كتبهم وأجلها، لا يرغبون في أن يطلعوا أحداً عليها، أو أن يقرأها امرؤ غيرهم، لما فيها من غلو وأوصاف، وتنسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهو من كتبهم المشتركة مع غيرهم. قال حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ): سبعون كلمة، أولها: الحمد لله بديع السموات وفاطرها.. إلخ، قيل أنها من المفتريات.

٢- كتاب "جاودان عريف": وهذا يعد من كتبهم المهمة، وهو منتشر باللغتين التركية والفارسية. وهو كتاب الطريقة الحروفية الصوفية.

٣- كلام الخزانة أو "سرانجام" المدون في القرنين السابع والثامن الهجري، ويتكون من ستة أجزاء. ويعتبر في رأيهم وحياً منزلاً، ويرون فيه تعاليم كاملة، ونهجا قويما، ومرشدا لهم في الحياة، يستندون إليه في حل كل مسائلهم الدينية والدنيوية. وهذا الكتاب لم يُطبع قط في أي مكان. وتضمنت بعض مواضيع سرانجام الحكم وتسمى (علم الأعلى)، واصطلاحات فلسفية يصعب على كل إنسان إدراكها. وقد جاء في مقدمته، أنه يجب ألا يطلع على مضامين الكتاب المقدس كل من كان، وأنه يجب ترتيله برموز، ولا يجوز تداوله من قبل أناس غير أهل له، أو غير لائقين.

وهناك كتب عديدة لهم، كُتبت في قرون هجرية مختلفة، ما بين القرن الثاني إلى الثالث عشر مثل: دوره بهلول، دور شاه خوشين، كلام ايل بيكي جاف، كلام نوروز، كلام حيدري، وكتاب "حياة" و"التوحيد" لـ سلمان أفندي الكاتبي، تُضاف إلى هذه الكتب دواوينَ شعرية، تُتلى كأدعية وابتهالات...

مزاراتهم: أما مزاراتهم، التي يشاركهم فيها العلويون أو العلي إلهيون هي: مزار سلطان إسحاق في جبل هورامان، ومزار سيد إبراهيم، بين مقبرة الشيخ عمر، والباب الأوسط ببغداد. ودكان داوود، وصاحب المزار المذكور كان خليفة السلطان إسحاق، ويقع بين سربيل وباي طاق، في كهفٍ جبلٍ. ومزار زين عابدين في داقوق، أصل محله كنيسة. ومزار أحمد في كركوك، بمحلة المصلى. ومزار عمر مندان في كفري، وهو غير عمر مندان الواقع على طريق كركوك - أربيل.

من عاداتهم: أنهم لا يقصون شواربهم وهي علامة ليتميزوا عن غيرهم، كما أنه تبرك بالإمام علي رضي الله عنه عندما شرب من الماء الذي غسل به الرسول فصارت تطول شواربه فكلما قصها تعود، فلذلك الكاكائية ومعهم البكتاشية يراعون تطويل شواربهم. أن يكون الكاكائي أخاً للكاكائي وأن تعتبر الكاكائية حراماً عليه فيما عدا الزواج، وأن لا ينظر إليها بسوء لأنها تعد أخته، وبيت الواحد بيت الآخر، أن يطيعوا السيد المعروف بـ "البير" وهو رئيسهم بأن يتابعوه متابعة ولا يجوز الخروج عن أمر السادة. التكاتف والتناصر ويكون بينهم بلا قيد أو شرط سواء في تعاونهم أو تضامنهم لدفع خطر من الأخطار. لا يقبل السيد هدية أو أعطية ولكن له حق التصرف في جميع أموال الكاكائية وهذا ما يعرف لديهم بما يسمى إباحة الأموال. أنهم يحرمون السرقة لذلك فبيوتهم مفتحة الأبواب لأنهم في مأمن من جماعتهم. التكتم ومراعاة السر التام، وهذا ضروري عندهم فلا يظهرون عقائدهم ولا مراسمهم علناً، ويعد التكتم من واجباتهم الدينية لدرجة أنه أصبح يضرب بهم المثل فيقال: "كتوم للسر مثل الكاكائي". يوما الإثنين والجمعة مقدسان وفيه يكون الزواج والاجتماعات العامة وغيرها. أكلة المحبة، وتجرى في الاجتماع العام، وفيه يذبح الرجل ديكاً ويطبخ معه حنطة أو أرزاً، ويقدم للشيخ، أو يقوم الرئيس بذبح شاة أو خروف ويدعي أهل القرية ويصبح مهرجاناً كبيراً ويتخذون الرقص ويقرأ دعاء الألفة ويوزع الطعام (الأكلة) ومن أكل من هذه الأكلة المباركة نال الثواب.

> الكاكائية لا يتلون القرآن، ويعد في نظرهم غير معتبر؛ لأنه من جمع عثمان رضي الله عنه

للاستزادة:

١- الكاكائيةُ، وحيرة المؤرخين في تقصي تاريخها / الدكتور رشيد الخيّون / عن موقع بحزاني

)www. Bahzani. Org .(http://arabic.tharwaproject.com/node/1027

٢- الكاكائية من فرق العراق / شبكة الراصد الإسلامية / العدد الواحد والعشرين - ربيع أول ١٤٢٦هـ.

٣- طائفة الكاكائية العلوية الصوفية/إبراهيم داود الداود/

http://www.mesopotamia4374.com/adad9/37.htm

٤- الكاكائية غرابة الكتمان وسرّية الأوهام / إبراهيم داود الداود

http://www.ansab-online.com/phpBB2/showthread.php?t=1583

٥- الأديان والمذاهب بالعراق - رشيد الخيون.

٦- الكاكائية في التاريخ، عباس العزاوي.

٧- موقع موسوعة الصوفية:

http://www.almwsoaa.com/.

٨- موقع الصوفية

:http://www.alsoufia.com.

الدكتور الشيخ/

تقي الدين الهلالي

يقول الدكتور الهلالي عن نفسه:

(نشأت في بلاد سجلمانة، وحفظت القرآن وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ورأيت أهل بلادنا مولعين بطرائق المتصوفة لا تكاد تجد واحداً منهم لا عالماً ولا جاهلاً إلا وقد انخرط في سلك إحدى الطرق، وتعلق بشيخها تعلق الهائم الوامق، يستغيث به في الشدائد، ويستنجد به في المصائب، ويلهج دائماً بشكره والثناء عليه، فإن وجد نعمة شكره عليها، وإن أصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه والتمسك بطريقته، ولا يخطر بباله أن شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الأرض فهو على كل شيء قدير، وسمعت الناس يقولون: من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه. وينشدون قول ابن عاشور في أرجوزته التي نظمها في عقيدة الأشعرية، وفي فروع المالكية، وفي مبادئ التصوف:

يصحب شيخاً عارف المسالك
يقيه في طريقه المهالك
يـذكـــره اللـــــــه إذا رآه
ويوصل العبد إلى مولاه

ورأيت الطرق المنتشرة في بلادنا قسمين:

١- قسم ينتمي إليه العلماء وعلية القوم.
٢- وقسم ينتمي إليه السوقة وعامة الناس.

فمالت نفسي إلى القسم الأول، وسمعت أبي وهو من علماء بلدنا مراراً يقول: لولا أن الطريقة التجانية تمنع صاحبها من زيارة قبور الأولياء والاستمداد منهم وطلب الحاجات إلا قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وإلا قبر الشيخ التجاني، وقبور من ينتمي إلى طريقته من الأولياء، قال أبي: لولا ذلك لأخذت ورد الطريقة التجانية، لأني لا أستطيع أن أترك زيارة جدنا عبد القادر بن هلال، وجدنا كان مشهوراً بالصلاح وله قبر يزار، وهو معدود من جملة الأولياء في ناحية الغرفة من القسم الشرقي الجنوبي في بلاد المغرب.

والطريقة التجانية، والدرقاوية، والكتانية، وإن كان أهلها في بلادنا قليلاً، تؤلف القسم الأول، فاشتاقت نفسي إلى أخذ ورد الطريقة التجانية وأنا قد ناهزت البلوغ، فذهبت إلى المقدم وقلت له: يا سيدي! أريد منك أن تعطيني ورد الطريقة التجانية، ففرح كثيراً، وقال لي: تأخذ الورد على صغر سنك؟ قلت: نعم، فقال: بخ بخ، أفلحت ونجحت، فأعطاني الورد وهو: ذكر لا إله إلا الله، مائة مرة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة مائة مرة، لكن صيغة الفاتح لما أغلق هي أفضل الصيغ، وأعطاني كذلك الوظيفة

خمسين مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وجوهرة الكمال وهي: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية.. إلخ، وسيأتي ذكر ألفاظها اثنتي عشر مرة، وهذه الصلاة لا تذكر إلا بطهارة مائية، فمن كان فرضه التيمم فعليه أن يذكر بدلها صلاة الفاتح عشرين مرة، قال: وإنما اشترطت الطهارة المائية على ذاكرها لأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها ولا يزالون معه ما دام يذكرها.

ويجب ذكر الورد مرة في الصباح ومرة في المساء بطهارة تامة كما يشترط في الصلاة، ويكون الذاكر جالساً كجلسة التشهد على الأفضل مغمضاً عينيه مستحضراً صورة الشيخ أحمد التجاني وهو رجل أبيض مشرب بحمرة ذو لحية بيضاء، ويتصور في قلبه أن عموداً من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلب المريد.

أما الوظيفة فيجب أن تذكر جماعة بصوت واحد، إن كان للمريد إخوان في بلده، فإن لم يكن له إخوان تجانيون في بلاده جاز له أن

> من شروط التجاني المخلص أن لا يذكر مع طريقة أخرى ذكرهم وأن لا يرقص معهم

يذكرها وحده مرة في كل يوم.

وأخبرني المقدم الشيخ عبد الكريم المنصوري ببعض فضائل هذا الورد وسأذكرها فيما بعد إن شاء الله، واستمررت على ذكر الورد والوظيفة بإخلاص ملتزماً الشروط مدة تسع سنين، وهناك ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلاً بغروب الشمس وهو: لا إله إلا الله ألف مرة، والأفضل أن يكون معه سماع قبله أو بعده، وهو إنشاد شيء من الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعاً: الله حي، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تواجدهم إلى لفظ آه، آه، آه، ويسمون هذه الحالة العمارة، وقد تركوها منذ زمان طويل لأن أبناء الشيخ التجاني لا يستعملون هذه العمارة، وهم يأتون من الجزائر إلى المغرب، وقد أشاروا على المغاربة أن يتركوا العمارة لأنهم لا يستحسنونها، ولكن في كتب الطريقة أنها فعلت أمام الشيخ أحمد التجاني وبرضاه وإقراره.

وكنت كلما أصابتني مصيبة أستغيث بالشيخ فلا يغيثني، فمن ذلك أني كنت في الجزائر مسافراً من ناحية (بركنت) بقرب حدود المغرب إلى (المشرية)، وكان لي رفيق له جمل فعقله وأوصاني بحراسته وتركني في خيمة، وكنا فيها من خيام أهل البادية، فانحل عقال الجمل وانطلق في البرية فتبعته، فأخذ يستهزئ بي، وذلك أنه يبقى واقفاً إلى أن أكاد أضع يدي على عنقه ثم يجفل مرة واحدة ويجري مسافة طويلة ثم يقف ينتظرني إلى أن أكاد أقبضه ثم يهرب مرة أخرى وذلك في حر الظهيرة وشدة الحر، فقلت في نفسي: هذا وقت الاستغاثة بالشيخ، فتضرعت إليه وبالغت في الاستغاثة أن يمكنني في قبض الجمل وإناخته فلم يستجب، فعدت على نفسي باللوم واتهمتها بعدم الإخلاص والتقصير في خدمة الطريقة ولم أتهم الشيخ البتة بعجز عن قضاء حاجتي، ومع أن شيوخ الطريقة يوصون المريد أن لا يطالع شيئاً من كتب التصوف إلا كتب الطريقة التجانية وقع في يدي مجلد من كتاب (الإحياء) للغزالي، فطالعته فأثر في نفسي واجتهدت في العبادة والتزمت قيام الليل في شدة البرد، فبينما أنا ذات ليلة أصلي قيام الليل أمام خيمتي الصغيرة التي كنت جالساً فيها يكاد رأسي يمس سقفها إذ رأيت غماماً أبيض سد الأفق كالجبل المرتفع من الأرض إلى السماء، وأخذ ذلك الغمام يدنو مني آتياً من جهة الشرق - وهي قبلة المصلي في المغرب والجزائر- حتى وقف بعيداً مني وخرج منه شخص وتقدم حتى قرب مني ثم شرع يصلي بصلاتي مؤتماً بي، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشرة سنة، ولم أستطع أن أميز وجهه بسبب الظلام.

ولما شرع يصلي معي كنت أقرأ في سورة (ألم) السجدة، ففزعت وخفت خوفاً شديداً، فخرجت منها إلى سورة أخرى أظنها سورة سبأ، ولم أستطع قراءة القرآن مع شدة حفظي له، بسبب الرعب الذي أصابني، فتركت السور الطوال وأخذت أقرأ بالسور القصار التي لا تحتاج قراءتها إلى رباطة جأش واستحضار فكر. فصلى معي ست ركعات، ولم أرد أن أكلمه، لأن كتب الطريقة توصي المريد أن لا يشتغل بشيء مما يعرض له في سلوكه حتى يصل إلى الله، وتنكشف له الحجب فيشاهد العرش والفرش، ولا يبقى شيء من المغيبات خافياً عليه، ولما طال علي زمان الاضطراب دعوت الله في سجود الركعة السادسة فقلت: يا رب! إن كان في كلام هذا الشخص خير فاجعله هو يكلمني، وإن لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني، فلما سلمت من التشهد بعد الركعة السادسة سلم هو أيضاً، ولم أسمع له صوتاً ولكني رأيته التفت عند السلام إلى جهة اليمين كما يفعل المصلي المنفرد على مذهب المالكية، فإنه يسلم مرة واحدة عن يمينه،

السلام عليكم دون أن يضيف إليها (رحمة الله وبركاته)، وإن كان مؤتماً بإمام يسلم ثلاث تسليمات، إن كان بيساره مصل تسليمة عن يمينه وهي تسليمة التحليل وتسليمة أمامه للإمام، وتسليمة ثالثة عن شماله للمصلي الذي يجلس عن شماله، وقد ثبت في الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الحافظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم عن يمينه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذا هو الذي ينبغي لكل مصل أن يعتمد عليه سواء أكان إماماً أو مأموماً أو منفرداً.

وبعد السلام انصرف ومشى على مهل حتى دخل في الغمام الأبيض الذي كان قائماً في مكانه الذي كان ينتظره، وبعد دخوله في الغمام فوراً أخذ الغمام يتقهقر إلى جهة الشرق حتى اختفى عن بصري، وكان في قبيلة (حميان) شيخ شنقيطي صالح ما رأيت مثله في الزهد والورع ومكارم الأخلاق وسأذكره فيما بعد، فسافرت إليه وحكيت له تلك الحادثة فقال لي: يمكن أن يكون ذلك شيطاناً، لو كان ملكاً ما أصابك فزع ولا رعب، فظهر لي أن رأيه صواب.

وبعد ذلك بزمن طويل أخذت أدرس علم الحديث، فرأيت كتاب (صحيح البخاري) ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل وهو في غار حراء، فظهر لي أن رأي ذلك الشيخ رحمه الله غير صحيح، وبقيت المشكلة بلا حل إلى الآن، وكنت حينئذ مشركاً أستغيث بغير الله وأخاف غير الله. ومن هذا تعلم أن ظهور الخوارق وما في عالم الغيب ليس دليلاً على صلاح من ظهرت له تلك الخوارق ولا على ولايته لله ألبتة، فإن كل مرتاض رياضة روحية تظهر له الخوارق على أي دين كان، وقد سمعنا وقرأنا أن العباد الوثنيين من أهل الهند تقع لهم خوارق عظام.

وبعد ذلك بأيام رأيت في المنام رجلاً نبهني وأشار إلى الأفق فقال لي: انظر فرأيت ثلاثة رجال، فقال لي: إن الأوسط منهم هو النبي صلى الله عليه وسلم، فذهبت إليه فلما وصلت إليه انصرف الرجلان اللذان كانا معه فأخذت يده وقلت: يا رسول الله! خذ بيدي إلى الله، فقال لي: اقرأ العلم، ففكرت وعلمت أني في بلاد الجزائر، وكان الفرنسيون مسؤولين عليها وكان فقهاء بلدنا يكفرون كل من سافر إلى الجزائر وإذا رجع من سفره يأمرونه بالاغتسال والدخول في الإسلام من جديد، ويعقدون له عقداً جديداً على زوجته، فقلت في نفسي: هذا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني بطلب العلم، وأنا في بلاد يحكمها النصارى، فإما أن أكون عاصياً أو كافراً فكيف يجوز لي أن أطلب فيها العلم. هذا كله وقع في لحظة وأنا لا أزال واقفاً أمام النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: في بلاد المسلمين أم في بلاد النصارى؟ فقال لي: البلاد كلها لله، فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يختم لي بالإيمان، فرفع إصبعه السبابة إلى السماء وقال لي: عند الله.

وبعدما خرجت من الطريقة التجانية على أثر المناظرة التي سأذكرها فيما بعد إن شاء الله بزمان رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى في المنام على صورة تخالف الصورة التي رأيته عليها في المرة المذكورة، ففي الأولى كان طويلاً أبيض نحيفاً مشرباً بحمرة، لحيته بيضاء، أما في هذه المرة فكان ربعة من الرجال إلى الطول أقرب ولم يكن نحيفاً، ولحيته سوداء، وبياض وجهه وحمرته أقرب إلى ألوان العرب من المرة الأولى، وكانت رؤيتي له في فلاة من الأرض، وكنت بعدما خرجت من الطريقة التجانية توسوس نفسي أحياناً بما في كتاب

> فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم

جواهر المعاني مما ينسب إلى الشيخ التجاني أنه قال: (من ترك ورده وأخذ وردنا وتمسك بطريقتنا هذه الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنفية التجانية فلا خوف عليه من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أياً كان من الأحياء أو من الأموات، أما من أخذ وردنا وتركه فإنه يحل به البلاء وأخرى ولا يموت إلا كافراً قطعاً، وبذلك أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة ومناماً) وقال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وأنا مربيهم. وسيأتي من هذه الأخبار وأمثالها إن شاء الله كثير في ذكر فضائل الأوراد والأصحاب، فكنت أدفع هذا الوسواس بأدلة الكتاب والسنة، وأرجم شيطانه بأحجارها فيخنس ثم يخسأ ويدبر فاراً منهزماً، فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرة خطر ببالي ذلك فعزمت على أن أبدأ الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم بأن أسأله أن يدعو الله لي أن يختم لي بالإيمان، وأظن القارئ لم ينس أني سألته في المرة الأولى فلم يدع لي ولكنه رفع إصبعه السبابة إلى السماء وقال: عند الله، فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يختم لي، بالإيمان، فقال لي: ادع أنت وأنا أؤمن على دعائك، فرفعت يدي وقلت: اللهم اختم لي بالإيمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آمين، وكان رافعاً يديه، فزال عني ذلك الوسواس، ولكني لم آمن مكر الله تعالى فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، والرؤيا تبشر ولا تغر، وبين هذه الرؤيا التي دعا لي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختم الله لي بالإيمان بتأمينه على دعائي والرؤيا التي قدمت ذكرها ولم يدع لي فيها، عشرون سنة، وتأولت اختلاف الصورة وعدم الدعاء في الرؤيا الأولى والدعاء في الرؤيا الثانية بما كنت عليه من الشرك في العبادة وبما صرت إليه من توحيد الله تعالى واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

سبب خروجي من الطريقة التجانية:

لقد كنت في غمرة عظيمة، وضلال مبين، وكنت أرى خروجي من الطريقة التجانية كالخروج من الإسلام. ولم يكن يخطر لي ببال أن أتزحزح عنها قيد شعرة، وكان الشيخ عبد الحي الكتاني عدواً للطريقة التجانية؛ لأنه كان شيخاً رسمياً للطريقة الكتانية.

أقول: مر بنا الشيخ عبد الحي في (وجدة) وأنا عند العالم الأديب الشاعر المتفنن في علوم كثيرة الشيخ أحمد سكيرج، قاضي القضاة بناحية (وجدة)، معلماً لولده الأديب السيد عبد الكريم وابن أخيه السيد عبد السلام، كنت أعلمهما الأدب العربي بدعوة من الشيخ أحمد سكيرج، فمدحت عبد الحي بقصيدة ضاعت مني ولا أذكر شيئاً منها، ولكنه أعجب بها أيما إعجاب، حتى قال لي: عاهدني أنك إذا قدمت (فاساً) تنزل عندي ضيفاً، فعاهدته على ذلك. ففي ربيع الأول من سنة أربعين من هذا القرن الهجري سافرت إلى فاس ونزلت عنده. وولد له في تلك الأيام ولد سماه عبد الأحد، فالتمس مني نظم أبيات في التهنئة وتاريخ مولده فنظمتها ولا أذكر منها شيئاً، وفي اليوم السابع من مولده عمل مأدبة عظيمة دعا لها خلقاً كثيراً وبعدما أكلوا وشربوا قاموا (للعمارة) (ذكر بالرقص والتمايل) التي تقدم ذكرها، ودعوني أشاركهم في باطلهم فامتنعت؛ لأن من شروط التجاني المخلص أن لا يذكر مع طريقة أخرى ذكرهم وأن لا يرقص معهم. وفي كتاب البغية للشيخ العربي ابن السايح وهو شرح المنية للتجاني ابن بابا الشنقيطي حكاية في وعيد شديد لمن يشارك أصحاب الطرائق الأخرى في أورادهم وأذكارهم، وحاصلها أن شخصاً تجانياً ذهب إلى زاوية طريقة أخرى لغرض دنيوي، فاستحى أن يبقى منفرداً عنه وهم يذكرون وظيفتهم، فشاركهم في الذكر،

فلما فتح فاه ليذكر معهم أصابه الشلل في فكيه، فبقي فاه مفغوراً ولم يستطع سده حتى مات. ولكن الجماعة ألحوا علي وجروني جراً حتى أوقفوني في حلقتهم، فرأيت أفواهاً مفغورة من وجوه بعضها فيه لحية سوداء، وبعضها فيه لحية خطها الشيب، وبعضها أمرد ليس له لحية من الغلمان الذين لم يلتحوا بعد، أما حلق اللحى فلم يكن موجوداً في ذلك الزمن إلا عند الفرنسيين المستعمرين وقليل جداً من حواشيهم، وسمعت أصواتاً تنبعث من تلك الأفواه ليس لها معنى في أي لغة بعضها (آآآ) وبعضها (آه آه آه) وبعضها (أحن أح أح) فاستنكرت تلك الهيئة وقلت في نفسي: إن الله لا يرضى بهذه الحالة أن تكون عبادة له لبشاعتها، ثم ندمت على ذلك ندامة الكسعي أو الفرزدق حين طلق نوار فقال:

ندمت ندامة الكسعي لما
غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها
كآدم حين أخرجه الضرار

وقلت في نفسي: كيف يسوغ لي أن أنكر شيئاً حضر مثله خاتم الأولياء القطب سيدي أحمد التجاني، فتبت من ذلك الخاطر، ولكن جاءني امتحان آخر وذلك أن الشيخ عبد الحي الكتاني قال لي منتقداً: إن الطريقة التجانية مبنية على شفا جرف، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتمسك بها فقلت له: (والطريقة الكتانية التي أنت شيخها)؟ فقال لي: كل الطرائق باطلة، وإنما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستعبادهم، فقلت: إذن أنت تستحل أموال الناس بالباطل وتسخرهم وتستعبدهم، قال: أنا لم أؤسس الطريقة وإنما أسسها غيري، وهذه الأموال التي آخذها منهم أنفقتها في مصالح لا ينفقونها هم فيها. ثم قلت له: ومن الذي حملك على الطعن في الطرائق وما دليلك على بطلانها؟ قال لي: ادعاء كل من الشيخين أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته وظيفة أصحابه حين يذكرونها وهذه قلة حياء منهما، وعدم تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تكلفونه أن يخرج من قبره ويقطع هذه المسافات من البر والبحر ليجلس أمامكم، فأنتم تبسطون له ثوباً أبيض ليجلس عليه، وأصحابنا يقومون ويذهبون إلى الباب ليتلقوه، فقلت: إذاً أنت لا تعتقد صحة طريقك؟ فقال: لا أعتقدها أبداً، وقد أخبرتك أنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل. وأزيدك على ذلك اعتماد طريقتكم على كتاب (جواهر المعاني) الذي تزعمون أن شيخكم أحمد التجاني أملاه على علي حرازم نصفه مسروق، فأحد المجلدين وهو الأول مسروق بالحرف وهو تأليف لمحمد عبد الله المدفون بكذا وكذا بفأس، وسمى ناحية نسيتها الآن، قال وأنا قابلت الكتابين من أولهما إلى آخرهما، فوجدت المجلد الأول من (جواهر المعاني) مسروقاً كله من كلام الشيخ المذكور ففارقته.

وبعد أيام كنت جالساً عند الشيخ عمر بن الخياط بائع الكتب بقرب القرويين فقال لي: هل اجتمعت بالأستاذ الشيخ محمد بن العربي العلوي فقلت: لا، فقال لي: هذا الرجل من أفضل علماء فاس وعنده خزانة كتب لا يوجد مثلها في فاس وأثنى عليه بالعلم والأدب، فقلت له: أنا لا أجالس هذا الرجل ولا أجتمع به؛ لأنه يبغض الشيخ أحمد التجاني ويطعن في طريقته، فقال لي: إن طالب العلم يجب أن يتسع فكره وخلقه لمجالسة جميع الناس وبذلك يتسع علمه وأدبه، ولا يجب عليه أن يقلدهم في كل ما يدعون، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر، وإن لم تجتمع بهذا الرجل يفوتك علم وأدب كثير، فذهبت إليه لأجتمع به، وكان قاضياً في محكمة فاس الجديدة، فنظمت أربعة أبيات لا أحفظ منها إلا شطر البيت الرابع وهو (وهذا مدى قصدي وما أنا مستجد).. أعني أن غرضي بالاجتماع بك المذاكرة العلمية فهي غاية قصدي، وإن اعتبرنا ما موصولة يكون المعنى والذي أستجديه أي أطلبه وإن اعتبرناها نافية تميمية يكون المعنى: ولست مستجدياً، أي: طالباً مالاً، فلما خرج من المحكمة وأراد أن يركب بغلته التي كانت على باب المحكمة ولجامها بيد خادمه تقدمت إليه وأعطيته الصحيفة التي فيها الأبيات، فلما قرأها رحب بي، وقال لطالب كان يرافقني وهو الحاج محمد بن الشيخ الأراري: أنت تعرف بيتنا، فقال: نعم، قال: فأتِ به على الساعة التاسعة صباحاً، فخرجت مع الرفيق المذكور من مدرسة الشراطين، وكان يسكن فيها على الساعة الثامنة والنصف، لنصل إلى الشيخ على الساعة التاسعة، وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهو عيد عند المغاربة وكثير من البلدان الإسلامية، وفي المغرب طائفة يسمون (العيساويين) أتباع الشيخ بن عيسى المكناسي، وهؤلاء لهم موسم في كل سنة يجتمعون فيه في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ويأتون من جميع أنحاء المغرب، فيضربون طبولهم ومزاميرهم، ويترنمون بأناشيدهم إلى أن يظهر للناس أنهم أصيبوا بالجنون وحينئذ يفترسون الغنم والدجاج بدون ذكاة بل يقطعونه بأظافرهم ويأكلون لحمه نيئاً، والدم يسيل منه وقد ملئوا أزقة فاس وهي ضيقة في ذلك الزمن، وحتى في هذا الزمن، فلم نستطع أن نصل إلى بيت الشيخ إلا بعد مضي ساعتين ونصف من شدة الزحام فلما وصلنا وأخبرنا بوابه ذهب ثم رجع إلينا وقال: إنكما لم تجيئا في الموعد المضروب، والشيخ مشغول عنده حكام فرنسيون فارجعا إليه بعد صلاة العصر، فرجعنا وقلت لصاحبي: لا نرجع إليه فقد كفانا الله شر لقائه؛ لأنه مبغض لشيخنا وطريقته، فالخير في ما اختاره الله تعالى. فقال لي: ليس الشيخ بملوم وقد اعتذر بعذر قائم، والصواب أن نرجع إليه، فرجعنا إليه بعد العصر، ووجدت عنده من الترحيب والبشاشة والإكرام والتواضع ما لم أجده عند الشيخ الكتاني ولا عند أحد من علماء فاس.

> فكيف لا يخص النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته وخلفاءه بشيء ثم يخص رجلاً في آخر الزمان بما يتنافى مع أحكام الكتاب والسنة

وأخذنا في أحاديث أدبية وكان يقوم ويأتي بالكتب ويضعها أمامي. ووجدته كما قال السيد عمر بن الخياط. ولما كادت الشمس تغرب استأذنته في الانصراف فقال لي: أين تذهب، أنت غريب في هذا البلد وهذا المكان معد للضيوف لا نحتاج إليه فامكث، وبت هنا؛ وقبلت دعوته، وبعد أن صلينا المغرب جاء أصحابه، أذكر منهم الشيخ عبد السلام الصرغيني، والشيخ المهدي العلوي، وأخذوا ينتقدون الطريق الكتانية ويستهزئون بها ويسخرون من أهلها وكل منهم يحكي حكاية. فقال الشيخ: عندي حكاية هي أعجب وأغرب مما عندكم؛ جاءني شاب كان متمسكاً بالطريقة الكتانية تمسكاً عظيماً فقال لي: أريد أن أتوب على يدك من الطرائق كلها وتعلمني التمسك بالكتاب والسنة، فقلت له: وما الذي دعاك إلى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطاً بها. فقال لي: إنه أمس شرب الخمر وزنا وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء، فمر بالزاوية الكتانية وسمع المريدين يرقصون ويصيحون بأصوات عالية والمنشد ينشدهم، وكانت بقية سكر لا تزال مسيطرة عليه، فهم أن يدخل الزاوية، ويرقص معهم، ولكنه أحجم عن ذلك لأنه جنب ولم يصل شيئاً من الصلوات في ذلك النهار، إلا أن سكره غلب على عقله فدخل الزاوية ووجد الشيخ محمد بن عبد الكبير في صدر الحلقة، والمريدون يرقصون فاشتغل معهم في الرقص، وكان أنشطهم فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ

وقبله في فمه وقال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلك فاقتديت به)! قال: ولما دعاني خفت خوفاً شديداً وظننت أنه انكشف له حالي وهو يريد أن يوبخني على ذنوبي، فلما قال لي أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعو إليه وإلا كيف يرضى عني النبي صلى الله عليه وسلم ويقبلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم. قال: فهذا سبب مجيئي إليك لأتوب إلى الله من الطرائق كلها وأتبع طريقة الكتاب والسنة.

ولما رأيتهم أنا يعيبون الطريقة الكتانية ويستهزئون بها أصابني خوف شديد وندمت على زيارتي للشيخ فقلت لنفسي: هذا الذي كنت أخافه وقد وقعت فيه فكيف الخلاص؟

وذكرت قول التجاني ابن بابا في منيته:

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك
وضل في مهامه وفي حلك
وشدد النهى لنا الرسول
في ذاك فلتعمل بما أقول
والشيخ قال هو سم يسري
يحل من فعله في خسر

ومعنى ذلك أن الشيخ أحمد التجاني قال: قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً قل لأصحابك: لا يجالسوا المبغضين لك فإن ذلك يؤذيني، فصممت على أن أخرج من ذلك المجلس. فقمت فقال لي الشيخ: إلى أين؟ فقلت: إلى بيت الخلاء، كذبت عليه، فلما وصلت إلى الباب منعني البواب من الخروج، وقال لي: وهل أذن لك الشيخ في الخروج؟ فقلت: نعم، فقال لي: هذا محال لأنك غريب، والقانون الفرنسي يقضي بأن التجول بعد الساعة العاشرة ليلاً فيه خطر، فإنك لا تمشي خطوات حتى يقبضوا عليك وتؤخذ إلى السجن، وتبقى فيه إلى ضحى الغد وحينئذ ينظر في إطلاق سراحك. وقال لي: أنا لا أفتح لك الباب إلا إذا سمعت الإذن من الشيخ، فقلت له: إذاً أرجع. ورجعت وجلست في مكاني، ولم تخفَ حالي عن الشيخ فقال لي: أراك منقبضاً؛ فما سبب انقباضك؟ فقلت: سببه أنكم انتقلتم من الطعن في الطريقة الكتانية إلى الطريقة التجانية، وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه طعن في شيخي وطريقته. فقال لي: لا بأس عليك، أنا أيضاً كنت تجانياً وخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها، فإن كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فلك علي ألا تسمع بعد الآن في مجلس انتقاداً لها أو طعناً فيها. وإن كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلم إلى المناظرة، فإن ظهرت علي رجعت إلى الطريقة، وإن ظهرت عليك خرجت منها كما فعلت أنا. فأخذتني النخوة ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها على جهل فقلت: قبلت المناظرة.

مناظرة حول ادعاء الشيخ التجاني في أنه رأى النبي في اليقظة:

قال الشيخ: أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت: ما هي؟ قال: ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل، فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق، وإن بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك وتتمسك بالحق. ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ فقلت: ابدأ أنت، فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني. قلت: هات ما عندك وعلي الجواب، فقال: الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة؛ قالت الأنصار للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير،

> فكيف يهون على النبي صلى الله عليه وسلم سفك هذه الدماء ووقوع هذا الشر بين المسلمين بل بين أخص الناس به، وهو يستطيع أن يحقن هذه الدماء بكلمة واحدة

وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش. ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول: الخليفة فلان فينهي النزاع؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحداً يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصبح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد ألف ومائتي سنة، ولماذا ظهر؟ ليقول له أنت من الآمنين، ومن أحبك من الآمنين، ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه لا الحفدة، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له: إن الشيخ رضي الله عنه قد أجاب عن هذا الاعتراض في حياته فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقى الخاص للخاص والعام للعام في حياته، أما بعد وفاته فقد انقطع إلقاء العام للعام وبقي إلقاء الخاص للخاص لم ينقطع بوفاته، وهذا الذي ألقاه إلى شيخنا من إعطاء الورد والفضائل هو من الخاص للخاص.

فقال: أنا لا أسلم في أن الشريعة خاصاً وعاماً لأن أحكام الشرع خمسة، وهذا الورد وفضائله إن كان من الدين فلا بد أن يدخل في الأحكام الخمسة لأنه عمل أعد الله لعامله ثواباً؛ فهو إما واجب أو مستحب، ولم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى بين لأمته جميع الواجبات والمستحبات. وفي صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب أنه قيل له: «هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم معشر أهل البيت بشيء؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء إلا فهماً يعطاه الرجل في كتاب الله، وإلا ما في هذه الصحيفة، ففتحوها فإذا فيها العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر» فكيف لا يخص النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته وخلفاءه بشيء ثم يخص رجلاً في آخر الزمان بما يتنافى مع أحكام الكتاب والسنة.

فقلت: إن الشيخ عالم بالكتاب والسنة وفي جوابه مقنع لمن أراد أن يقنع.

قال: احفظ هذا.

الثاني: اختلاف أبي بكر مع فاطمة الزهراء رضي الله عنهما على الميراث فلا يخفى أن فاطمة طلبت من أبي بكر الصديق رضي الله عنه حقها من ميراث أبيها واحتجت عليه بأن إذا مات هو يرثه أبناؤه، فلماذا يمنعها من ميراث أبيها، فأجابها أبو بكر الصديق بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، ما تركنا صدقة. وقد حضر ذلك جماعة من الصحابة فبقيت فاطمة الزهراء مغاضبة لأبي بكر حتى ماتت بعد ستة أشهر بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم. فهذا حبيبان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه قال: «فاطمة بضعة مني يسوؤني ما ساءها»، أو كما قال عليه الصلاة والسلام وصرح بأن أبا بكر الصديق أحب الناس إليه، وقال: «ما أحد أمنّ علي في نفس ولا مال من أبي بكر الصديق» /رواه البخاري/. وهذه المغاضبة التي وقعت بين أبي بكر وفاطمة، تسوء النبي صلى الله عليه وسلم، فلو كان يظهر لأحد بعد وفاته لغرض من الأغراض لظهر لأبي بكر الصديق وقال له: إني رجعت عما قلته في حياتي فأعطها حقها من الميراث، أو لظهر لفاطمة وقال لها: يا ابنتي لا تغضبي على أبي بكر فإنه لم يفعل إلا ما أمرته به. فقلت له: ليس عندي من الجواب إلا ما سمعت، قال: احفظ هذا.

الثالث: الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة

من جهة، وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى واشتد النزاع بينهما حتى وقعت حرب الجمل في البصرة، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين، وعقر جمل عائشة، فكيف يهون على النبي صلى الله عليه وسلم سفك هذه الدماء ووقوع هذا الشر بين المسلمين بل بين أخص الناس به، وهو يستطيع أن يحقن هذه الدماء بكلمة واحدة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة التوبة برأفته ورحمته بالمؤمنين وأنه يشق عليه كل ما يصيبهم من العنت، وذلك في قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة:١٢٨].

فقلت له: ليس عندي من الجواب إلا ما سمعت، وظهوره وكلامه للشيخ التجاني فضل من الله، والله يؤتي فضله من يشاء. قال: احفظ هذا وفكر فيه.

الرابع: خلاف علي مع الخوارج وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر النبي صلى الله عليه وسلم لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقنت تلك الدماء، فقلت: الجواب هو ما سمعت، فقال لي: احفظ هذا وفكر فيه، فإني أرجو أنك بعد التفكير ترجع إلى الحق.

الخامس: النزاع الذي وقع بين معاوية وعلي، وقد قتل في الحرب التي وقعت بينهما خلق كثير، منهم عمار بن ياسر، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور لأفضل الناس بعده وفي ظهوره هذه المصالح المهمة من جمع كلمة المسلمين وإصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم، وهو خير المصلحين بقوله تعالى: (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) [الأنفال:١] وقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا) [الحجرات:١٠]، ثم يظهر للشيخ التجاني في آخر الزمان لغرض غير مهم وهو في نفسه غير معقول لأنه مضاد لنصوص الكتاب والسنة.

فلم يجد عندي جواباً غير ما تقدم، ولكني لم أسلم له، فقال: فكر في هذه الأدلة وسنتباحث في المجلس الآخر، فعقدنا بعد هذا المجلس سبعة مجالس كل منها كان يستمر من بعد صلاة المغرب إلى ما بعد العشاء بكثير. وحينئذ أيقنت أنني كنت ضلالاً، ولكن أردت أن أزداد يقيناً فقلت له: من معك من العلماء هنا في المغرب على هذه العقيدة وهي أن أي: مسألة في العقائد أو في الفروع يجب أن نعرضها مع قصر باعنا وقلة اطلاعنا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ظهر لنا أنه موافق لهما قبلناه وما ظهر لنا أنه مخالف رددناه، فقال لي: يوافقني على هذا أكبر مقدم للطريقة التجانية في المغرب كله وهو الشيخ الفاطمي الشرادي، فكدت أكذبه لأن المشهور في جميع أنحاء المغرب أن هذا الرجل من كبار العلماء، وهو أكبر مقدم للطريقة التجانية، ولم أقل: أكبر شيخ لأن الشيخ التجاني لا يبيح أن يكون شيخاً للطريقة سواه، لأن تلقيبه بالشيخ قد يفهم منه أنه يجوز لغيره أن يتصرف في أوراد الطريقة وفضائلها وعقائدها وذلك ممنوع؛ لأن الذي أعطى هذه الطريقة هو النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً كما تقدم، والمتلقي الأول لها هو الشيخ أحمد التجاني، والنبي صلى الله عليه وسلم سماه شيخاً لهذه الطريقة، وكل ناشر للطريقة وملقن لأورادها يسمى مقدماً فقط، فالطريقة لها مصدر واحد، وشيخ واحد ولا يجوز تعدد المصدر ولا تعدد الشيخ حسبما في كتب الطريقة.

مع الشيخ الفاطمي الشرادي:

فتوجهت إلى الشيخ الفاطمي رحمه الله وكان الوقت ضحى وقد أوصاني شيخنا محمد بن العربي ألا أسأله إلا في خلوة، فوجدت عنده جماعة فانصرف بعضهم وجاء آخرون وبقيت

> أي: مسألة في العقائد أو في الفروع يجب أن نعرضها مع قصر باعنا وقلة اطلاعنا على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما ظهر لنا أنه موافق لهما قبلناه وما ظهر لنا أنه مخالف رددناه

عنده أنتظر أن أخلو به حتى صلينا الظهر وجاء الغداء فلم أستطع أن أخلو به، وكان ثلاثة ممن كانوا في مجلسه حاضرين فقلت له: إن الشيخ محمد بن العربي العلوي يقول: يجب علينا أن نعرض جميع المسائل أصولاً وفروعاً على كتاب الله وسنة رسوله فما وافق في نظرنا القاصر قبلناه وما خالف رددنا ولو قال به الإمام مالك أو الشيخ أحمد التجاني؟ فأشار إلي بيده يستمهلني وكان جلوسي عنده قد طال فانصرفت إلى مدرسة الشراطين حيث كنت نازلاً قبل لقائي بالشيخ العلوي.

وفي ذلك اليوم بعد صلاة العشاء جاءني بواب المدرسة وقال لي: إن الشيخ الفاطمي الشرادي أرسل إليك عبده وبغلته يطلب أن تزوره فتعجبت كثيراً لأمرين: أحدهما أن الوقت ليس وقت زيارة، وثانيهما أنه لم تجر العادة أن كبار العلماء الطاعنين في السن، يبعثون الدابة للركوب إلا لمن هو مثلهم في السن والعلم، وأنا شاب فركبت البغلة وسار العبد أمامي حتى وصلت إليه وسلمت عليه فرد أحسن رد ورحب بي وقال لي: يا ولدي أنا رجل كبير طاعن في السن، ليس لي قدرة على القتال، أما سيدي محمد بن العربي العلوي فهو شاب مستعد للقتال وأنت سألتني أمام الناس عن مسألة مهمة لا يسعني أن أكتم جوابها، ولا أستطيع أن أصرح به أمام الناس، فأعلم أن ما قال لك سيدي محمد بن العربي العلوي هو الحق الذي لا شك فيه، وقد أخذت الطريقة القادرية وبقيت فيها زماناً، ثم أخذت الطريقة الوزانية وبقيت فيها زماناً، ثم أخذت الطريقة التجانية والتزمتها حتى صرت مقدماً فيها، فلم أجد في هذه الطرائق فائدة، وتركتها كلها ولم يبق عندي من التصوف إلا طلب الشيخ المربي على الكتاب والسنة علماً وعملاً، ولو وجدته لصاحبته وصرت تلميذاً له، وأنت تريد أن تسافر إلى الشرق فإن ظفرت بشيخ مرب متخلق بأخلاق الكتاب والسنة علماً وعملاً فاكتب إلي، وأخبرني به حتى أشد الرحال إليه فازددت يقيناً بالنتيجة التي وصلت إليها في مناظرتي مع الشيخ العلوي. ولو كان عندي من العلم مثل ما عندي الآن لقلت له: إن ضالتك المنشودة هي أقرب إليك من كل قريب فإن هذا الشيخ الذي تطلبه وتريد أن تشد الرحال إليه ولو بعدت الدار وشط المزار هو أنت نفسك؛ بشرط أن يكون عندك العزم التام على العمل بالكتاب والسنة وطرح التقليد جانباً كيفما كان الأمر، فجزاهم الله خيراً وتغمدهما برحمته.

مع الشيخ عبد العزيز بن إدريس:

وبعد ذلك بعشرين سنة اجتمعت مع الشيخ عبد العزيز بن إدريس من علماء تطوان وهو أحد تلامذة الشيخ الفاطمي، فذكرت له الحكاية السالفة فقال لي: وأنا أيضاً وقع لي ما يشبه هذا، فإني بعد إتمام دراستي في جامع القرويين ذهبت إليه وهو أفضل شيوخي، فقلت له: أيها الشيخ! أريد أن أرجع إلى وطني تطوان فأريد أن تزودني بدعائك الصالح وأن تلقنني ورد الطريقة التجانية، فقال لي: يا أسفي عليك، أنت تحفظ كتاب الله وقد درست العلوم الإلهية التي تمكنك من فهم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يكفك ذلك كله حتى تطلب الهدى في غيره، والطريقة لا شيء، فعليك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكشف الله عني بفضله ظلام الشرك والبدعة، وفتح لي باب التوحيد والاتباع، فله الحمد والمنة، نسأله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه الهادي إلى الصراط المستقيم.□

لقد بنى الصوفية بنيانهم على شفا جرف هار في مسألة الاحتجاج بعلم الباطن؛ ليحفظ لهم ما قرروه من القول بحفظ الأولياء، وهو قول مواز للعصمة عند الشيعة، وجعلوا الأقوال والأفعال المخالفة للشرع التي تصدر من شيوخهم في منأى عن ولاية النصوص بحجة مظلة الباطن التي يقبعون تحتها لتبرير المخالفات الشرعية، وبهذا يتم تفسير الموروث من ركام الخوارق التي تشكل عبئاً على من يجاري الفقهاء منهم، وقبل أن نلج معاطف بحث هذه القضية نأخذ لفحة من فيح هذه الخوارق تحدد لنا جهة الحديث وردت في رسالة تحقيق (الفرق بين العامل بعلمه وغيره) قال فيها عبد الرحمن بن عبيد الله ما نصه:

(وقد اتفق أن سمعت بعضهم يذكر عن بعض السادة أن له زوجة شريفة مضى لحملها ستة أشهر فاقترن بفلاحة نشزت لأجلها الشريفة، فخيرها بين الرضا بها وبين أن يأخذ حملها ويجعله في بطن الفلاحة، فلم ترض، ففعل بزعمه ما تهددها به !! وولدت الفلاحة لثلاثة أشهر من حين الدخول !!!..)[1]

وندع هذه الزوجة الجديدة تعاني الأمرين من مشقة الوضع وإقناع نفسها وغيرها بصحة حملها لنعود إليه بآخرة ونقول بدءاً: ماذا ترى يقول من يسمون بأرباب الأحوال الذين اتجهوا لمعالجة النفوس وركبوا الصعب في مضارة النفس وضيقوا عليها ومالوا بها كل الميل - ولسنا منهم في شيء من ذلك - في تلويث طريقهم الذي أقوى وأقفر بهذه الحكايات الملفقة، والتي امتلأت الكتب بقدرها منها زبداً لا منفعة فيه بل هو السم الناقع، وقد اتسع الخرق على الراقع، فلا شك أنهم تعتريهم بسماع ذلك هزة، وأما نحن فنؤكد أن سبيل المسلم الصادق تعظيم أمر الله والتحاكم إلى الكتاب والسنة إذ هي الدين القويم، وما كان لهؤلاء الشيوخ أن يأخذوا العامة إلى أهوائهم بأصل باطل يقضي بعدم الإنكار على مخالفة الشرع ويتدثرون بثوب الباطن وهو ثوب يشف عما تحته فملتحفه عار.

فيا إخوة الإسلام! دونكم دواوين السلف من الصحب الكرام قد نزهت سيرتهم العطرة عن مثل هذه الخزعبلات، وأشربت قلوبهم تعظيم شرع الله، فجعلوا النص إماماً لهم وحاكماً على تصرفاتهم، فلا يرتفع عنه كائن من كان، وإذا ما حاد أحدهم جهلاً عن وروده ردوه إلى الجادة، وقالوا بتخطئته صراحة ولم يكنوا، فهذا راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه أقبل من الطور فلقيه أبو بصرة الغفاري رضي الله عنه فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الطور صليت فيه، قال: لو أدركتك قبل أن ترحل إليه

أيهم زعيم يتبنى هذه الحكايات

أكرم مبارك عصبان

ما رحلت، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى} ، رواه أحمد في المسند، والنكتة في هذا الحديث أنه عند البخاري من رواية أبي هريرة مما يدل على إشاعته لهذا الحكم، ولم يقل بأنه ارتاض رياضة الجوع والسهر حتى لطفت نفسه فانقدح فيها أمور فساغت له المخالفة، وحاشاه من حال هؤلاء الذين رغبوا عن سيرة السلف فأوردوا في دائرة المناقب ما فيه مخالفة صريحة.

فيا حسرة على عقول تتعاطى مثل هذه المخالفات دون نكير، وتقدم قداسة الشيوخ على النصوص، حيث تقابل أقوالهم وأفعالهم بالتسليم

> لقد بنى الصوفية بنيانهم على شفا جرف هار في مسألة الاحتجاج بعلم الباطن؛ ليحفظ لهم ما قرروه من القول بحفظ الأولياء، وهو قول مواز للعصمة عند الشيعة

والقبول الذي يعد أصلاً لفروع شتى، ولما تفطن بعضهم لفساد الأصل وهذه الفروع فزع إلى القول بالتأويل، وهو مسلك ذو زلل من ناحيتين: الأولى تتعلق بالغض من مقام شيوخهم إذ يستبدل ما يرونه حقيقة في حقهم بالمؤول، والثانية في حق الأتباع بالتلبيس عليهم حين يبادرون بالإنكار نصرة للشرع.

فالأصول المبتدعة صارت مقدمة على الأصول الشرعية، ونادوا بتفضيل هذه الخوارق على الأحكام، والملفت للنظر أن تجد التباين الكبير والاختلاف الكثير في هذه المخالفات إلى حد التنازع، ففي أمر دعوى الشفاعة مثلاً تجد أحدهم يدعيها لمريديه والثاني لأهل بلده والثالث

> سبيل المسلم الصادق تعظيم أمر الله والتحاكم إلى الكتاب والسنة إذ هي الدين القويم

لأهل عصره، ويربو الأخير فيزعم شفاعته للأمة، وكل ذلك قد ورد في طريقة واحدة فضلاً عن تتبعه في طرائق قدداً، وهكذا تجدهم متشاكسين في أمر هذه المخالفات القولية والفعلية وصدق الله القائل: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)[النساء:٨٢].

وأما أتباع المصطفى فيزنون أفعالهم وأقوالهم بميزان الشرع، ويعرضونها على الدليل، ولا يرفعون رأساً لحفظ الشيوخ مقابل النص، ولا يعبأون بمخالفتهم، ولا يقبضون بحجة التأويل، إذ القابض عليه كما قيل:

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

وقد أفاد شيخ الإسلام في تعامل الناس مع الولاية والحكم على المعين فصنف إذا اعتقد في الشخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به قلبه عن ربه، وصنف آخر إذا رآه قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية، قال: (وخيار الأمور أوسطها، وهو أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً)[2]

وثمة خطورة في الاستدلال بعلم الباطن تكمن في ما انتحله الشيعة - إسماعيليهم ورافضيهم - من انتحال الباطن والقول بالإمام المعصوم حيث كثرت الدعاوى على الشريعة، حتى آل ذلك إلى ما لا يعقل بحال، والحمد لله أن قيض الله من ينفي انتحال الطائفتين السابقتين ومن جاراهم من غلاة الصوفية، ويرد تأويلهم ممن يناضل عن الدين ويدفع شبهة الاحتجاج بعلم الباطن، وينادي هل علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أم هو علم اختص به أولياؤهم فوسعهم الخروج فيه؟ أم هل بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم علم الظاهر وخصهم بعلم الباطن؟ والحق أنه ما ثمَّ طريق في الباطن تخالف طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك دحض مزلة عياذاً بالله من شعب الكفر والخذلان.

ونعود إلى حكايتنا آنفة الذكر بالدحض والدفع بما ينسحب على غيرها من التلفيقات المشابهة، ولا بد من التفصيل فيها لبيان هذه الجملة ويظهر وجهها القبيح:

- أولاً: تظهر على مثل هذه الخوارق ملامح التلفيق واضحة جلية، وربما يقصد من وراء إيرادها إثبات قدرة هؤلاء الشيوخ على التصرف، وتكون الشهوة هي الباعثة لذلك استغلالاً للعامة في أموالهم واستخفافاً بعقولهم، وهو تشبع بخصائص لا يقدر عليها إلا الله، إذ أن من دونه لا يملكون من قطمير، ولا تروج مثل هذه إلا عند من قلت بضاعته من العقيدة الصحيحة، فيا لله العجب من أين تستفاد هذه التصرفات إلا إذا عرج أهلها على وسائل فلسفية تمده طريق الرياضة من جوع وسهر، وطريق الخلوات والسياحة، وطريق تسخير الجن وخدمتهم.

ـ ثانياً: الكرامة إنما باعثها الاستقامة على الشرع من صلاة وصيام وذكر وقرآن وجهاد وغيرها من الطاعات، وسبيل أمر الحكاية أن يتعامل بطلها مع نشوز امرأته بالطرق الشرعية من وعظ وهجر وضرب قال تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ)[النساء:٣٤]، لا أن يلوح بسيف التصرف مراغمة للنصوص، فالفراسة والكشف فضلاً عن غيرهما لا يعملان في معارضة نص البتة، فما كان من مشكاة الحق وعليه نور الطاعة فحق، وإلا فللباطلين وسائل متعددة ظلمات بعضها فوق بعض حين تصدر من أصحابها أفعال خارقة.

ـ ثالثاً: هذه لا تعد كرامة أصلاً لأنها تخرم حكماً شرعياً فهي وهم فاسد وخيال كاسد، إذ أن مقتضى النصوص يدل على أن أقل حمل ستة أشهر، وهذه الزوجة الجديدة قد ولدت لثلاثة أشهر فالحكم أن الولد دعي، إذ الدليل يحكم بيننا في ذلك، ولوازم حكايتهم هذه أمور مهيلة لا يكادون قبولها إلا بإغماض بعدما قرروا أنه لا يعدو أحد على الولي بالإنكار فيما يراه هو منكراً لأن حقيقتها معروف، وقد مال عبد الرحمن بن عبيد الله مع صاحب القصة بما يميل إليه من ترجيح ابن حجر الهيتمي ونقل ما حرره في التحفة ونصه: (فإن تعذر لحوقه بأن ولدته لستة أشهر من العقد أو لأكثر، ولم يمض زمن يمكن اجتماعهما فيه عادة فلا نظر لوصول ممكن كرامة لم يلحقه لاستحالة كونه منه) وتتمة كلامه: فلم ينطق الرجل ببنت شفة، ولكنهم عدوني من المنكرين المحجوبين[٣].

رابعاً: لا أدري ماذا يريد علي عبد الرحمن الجفري الذي كان أبعد شوطاً في الغلو من فحوى هذه الحكاية وذلك في جوابه لمن سأله عن قدرات الأولياء التي تصل إلى إيجاد ولد بلا أب، فقال له وهو يحاوره أن من منع ذلك ليس لأنها غير ممكنة بل هو تحرز على الأرحام (أي تزني وتقول: كرامة) على حد لفظه، ولحفظ نسب المسلمين، وزاد في جوابه بلا أم أيضاً وهي زيادة مشكلة، وأضاف بان هذه القضية عنده ليست ذات أهمية لأن شيوخه قالوا بأنها المعتمد!!

وهذا كلام متهافت وهو ونسج العنكبوت سيان، ويحمل من التخليط ما يبطل نفسه بنفسه فمن خلطه قوله: من غير أم ! ومنه أيضا التعبير بالمعتمد الذي يستخدمه الفقهاء، أما الحكم عند الصوفية فقول واحد، ولو اكتفى بما نقله باسودان في ذخيرة المعاد لسلم (٢/٣٤) ولفظه: (أن للأولياء كرامات تنتهي إلى إحياء الموتى وإيجاد ولد من غير أب !!!) غير أن ما يفوق تخليط الجفري السابق ويهوي به بعيداً استدلاله على قدرات الأولياء بقوله تعالى: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[المؤمنون:١٤]، (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)[المائدة:٣٢].[٤]

وهذا قول عظيم في نسبة الخلق لغير الله، ويعد من نواقض توحيد الربوبية الذي لم ينازع فيه كفار قريش، ولو عاد إلى أيسر تفسير متداول كالجلالين مثلاً لوجد معنى (الخالقين) في الآية الأولى القادرين، ومعنى (أحياها) في الآية الثانية امتنع عن قتلها، وأما الخلق فإن

> وأما أتباع المصطفى فيزنون أفعالهم وأقوالهم بميزان الشرع، ويعرضونها على الدليل، ولا يرفعون رأساً لحفظ الشيوخ مقابل النص، ولا يعبأون بمخالفتهم، ولا يقبضون بحجة التأويل

الآلهة المزعومة لا تستطيع رد ما يسلبه الذباب فضلاً عن خلقه قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)[الحج:٧٣]، (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)[الحج:٧٤].

خامساً: ما دمنا في تصرف الأولياء في عالم البطون فلن نبرح المقام حتى نسوق حادثة أخرى طريفة وردت في تذكير الناس من كلام أحمد

> الكرامة إنما باعثها الاستقامة على الشرع من صلاة وصيام وذكر وقرآن وجهاد وغيرها من الطاعات

بن حسن العطاس بقوله: (بلغنا أن السيد حاتم الأهدل كان حريصاً على مجلس الإخوان، ويشق عليه فراقهم، وكان له مملوك أمره أن يجلس بالباب، فإذا أراد أحد من إخوانه قضاء الحاجة نظر إلى ذلك العبد، فينتقل الحدث إليه، فيروح العبد إلى الخلاء وينوب عنه!!!).[٥]

ويأخذني العجب كل مأخذ أيضاً في تصوير رعاية الشيوخ لمريدهم وهم في عالم الأصلاب أو بطون أمهاتهم، وليس مجرد نقل الجنين إلى بطن أخرى، ففي طبقات الشعراني جاء منسوباً لسهل بن عبد الله قوله: (ولم أزل من يوم (ألست بربكم) أربي تلاميذي وهم في الأصلاب لم يحجبوا عني إلى وقتي ذا، وفيها أيضا ـ طبقات الشعراني ـ موقفان يتشابهان أحدهما أن محمداً الشنبكي كان ينهض حين تدخل والدة منصور البطائحي ويقول: أنا أقوم للجنين الذي في بطنها فإنه أحد المقربين !! والآخر قيام محمد بن هارون لوالد إبراهيم الدسوقي إذا مر عليه ويقول: في ظهره ولي يبلغ صيته المشرق والمغرب.[٦]

وأخيراً نعرج على أغلى الجواهر، وفيه أن أبا بكر بن سالم من حضرموت قال لمريده يوسف بن عابد المغربي حين قدم عليه: والله إني نظرتك في صلب والدك عابد، وفي رواية: أما تعلم أننا نلاحظك وأنت حمل في بطن أمك.[٧]

ونحن نبرأ إلى الله من هذا الخلق الذميم والمرتع الوخيم ممن نزل إلى حضيض هذه الحكايات، وتسور حمى الغيبيات يروم التناوش من مكان بعيد بدعاوى زائفة قال تعالى: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّه)[النمل:٦٥]، ونجعل الشرع معياراً لتصرفاتنا ونرتوي من موارده كالسلف الذين أتوا بأدلة التوحيد ووقفوا على حدوده فتأمل ـ أخا السلف ـ هذين المذهبين لتعلم الحق، وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح.

وقد قدمنا في عدد سابق أن قصة الخضر التي جعلوها أصلاً في مخالفة ظاهر الشرع لا حجة فيها؛ لأن الخضر كان نبياً قال تعالى: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي)[الكهف:٨٢].

وفي خاتمة المقال في هذا المقام نسأل المعاصرين من القوم: أيكم زعيم بتبني مثل هذه الحكايات والدفاع عنها؟ فليبين لنا حجته، ويظهر برهانه، والله ولي الهداية والتوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص ١٥٧).

(٢) الفرقان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٩١).

(٣) تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ص ١٥٧).

(٤) اسمع الحوار من شريط الترحيب بالجفري لحسن قارئ.

(٥) تذكير الناس (ص ٤٨).

(٦) طبقات الشعراني (ص ٢٢٨ ـ ٣١١ ـ ٤٩٨).

(٧) أغلى الجواهر (ص ٨٨).

في خضم الأمواج المتلاطمة من التيارات الفكرية والعقدية، وفي خضم المدنية المرهقة وثورة الجسد وهزال الروح، يقف الإنسان حائراً يبحث عن طريق للخلاص، ومنفذ للنجاة، وسبيل يأنس إليه ويعيش في كنفه، موفور الكرامة مستريح البال.. مطمئن النفس.. ويتساءل بلهفة: أين أجد الحياة الطيبة والسعادة الحقيقة؟ أين أجد ربيع النفس وسلو القلب وبهجة الروح؟ أين أجد راحة البال وأنس الخاطر؟ أفي هذه الحياة الدنيا محل للسعادة؟ أم هي دار للعمل والنصب والكدح؟

الحياة في القرآن.. نظرات.. وتأملات

إن هذه الحياة الدنيا خلقها الله جل وعلا للابتلاء والاختبار ليتميز العاملون فالله(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) [الملك:٢].

وهذه الحياة أنسها منقطع ولذتها فانية وراحتها يتبعها أتراح، وهي دار ممر لا دار مقر،(يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) [غافر:٣٩] بل إن الاطمئنان إلى هذه الحياة الدنيا والرضا بها والإعراض عن الآخرة من صفات الغافلين(إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) [يونس:٧].

ومن أسباب العقوبة عند الله تعالى محبة الدنيا الملهية عن الآخرة(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [النحل:١٠٧] وقد نهى الله عموم الناس عن الاغترار بالحياة الدنيا فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [لقمان:٣٣] وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [فاطر:٥].

ويقول سبحانه(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت:٦٤].

إن هذه النصوص المتكاثرة تدل على أن الدنيا إن هي إلا دار الترحل منها قريب، وإنما هي للإعداد والعمل والنصب والكدح، وصدق

لحظة من فضلك..
هل تريد أن تحيا؟

محمد بن عبد الله المقدي
almagdy3@hotmail.com

الله (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) [الرعد:٢٦].

وفهم هذه النصوص هام لفهم معنى العبودية ولفهم معنى الجزاء في الآخرة ولفهم الفرق في السعادة بين الدارين.

وهذه الدنيا وان كانت متاعاً وبلغة فإن فيها زادنا إلى الآخرة وفيها العمل الصالح، يقول أبي بن كعب رضي الله عنه: (هل تدري ما الدنيا؟ فيها زادنا إلى الآخرة وفيها أعمالنا التي نجزى بها)[1] يقول تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) [الكهف:٤٦].

وفيها نصر الله للمؤمنين وارتفاع شأنهم في الحياة الدنيا، قال الله تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) [غافر:٥١].

> فالحياة الطيبة مليئة بالراحة والهناء الحسي والمعنوي الظاهر والباطن من رزق حلال وسعادة ودوام الصلة بالله وانشراح الصدر، يشعر بها المؤمن ويذوق حلاوتها الموحد، فهي لذة تعتلج في القلب ولا تصفها الكلمات

فالحياة الدنيا مزرعة يحصد منها كل زارع ما ذراه، ويبقى قول الحق تبارك وتعالى أنها ليست محط الرحال بل هي دار للمرور، ونكدها أكثر من سعدها، قال تعالى مؤكداً هذا المعنى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [الحديد:٢٠].

ومع هذا كله فإن ثمة حياة طيبة يستروحها المؤمنون، تصبرهم على ضنك العيش، وبؤس الدنيا، ونكد العشير، تبدلهم بالهم أنساً وبالضيق سعادة وحبوراً.

قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل:٩٧].

وهذه الحياة المنشودة بها وصف زائد عن كونها حياة فهي حياة(طيبة).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله مجلياً هذا المعنى: (الحياة الطيبة أول طريقها: أن تعرف الله، وتهتدي إليه طريقاً يوصلك إليه، ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة؛ فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة، فينجذب إليها بكلِّيَّته، ويزهد في التعلُّقات الفانية، ويدأب في تصحيح التوبة، والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات الظاهرة والباطنة).

يقول ابن القيم رحمه الله :

(وقد فسرت الحياة الطيبة بالقناعة والرضا والرزق الحسن وغير ذلك، والصواب أنها حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقال غيره: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً.

وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح فإنه ملكها؛ ولهذا جعل الله المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكره وهي عكس الحياة الطيبة)[2].

فالحياة الطيبة مليئة بالراحة والهناء الحسي والمعنوي الظاهر والباطن من رزق حلال وسعادة ودوام الصلة بالله وانشراح الصدر، يشعر بها المؤمن ويذوق حلاوتها الموحد، فهي لذة تعتلج في القلب ولا تصفها الكلمات، فإذا استطعنا أن نحدد معنى تغريد العندليب وهبوب النسيم وعبيره وصدى الروابي، استطعنا وصف هذه الحياة إنها حياة تجيء إلى حشاشة الفؤاد من دون استئذان، وتسري فيه دون ممانعة من صاحب القلب الحي.

هل يمكن أن نحبس النسيم أو نمسك الظلال السابحة فوق المروج؟

فوصف هذه الحياة بـ(الطيبة) هو وصف لازم لها، فليس المراد حياة اللعب واللهو بل الحياة الطيبة المؤمنة المتصلة بخالقها التي تجسد العبودية في سكناتها.. في افراحها.. في آلمها.. في كل منقلب لها.. فهي لله.. وبالله.. وعلى الله.. وثمة السعادة.

إن الصلة بالله هي قوام الحياة الطيبة، بها يسكن القلب، وتهفو الروح وتصلح الجوارح، ويُلم شعث الفؤاد؛ لأن(القلب لا يصلح ولا يفلح، ولا ينعم ولا يسر، ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ لم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسطون والطمأنينة، وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له... ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب لله، بحيث يكون الله هو غاية مراده ونهاية مقصوده.. ومتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة(لا إله إلا الله) ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان، بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك)[٣].

ولكي نشعر بهذه الحياة الطيبة ثمة شرط لابد من توافره ألا وهو العمل الصالح، والأعمال الصالحة كثيرة متفاوتة في درجاتها وشعبها، ولكن أعظمها وأهمها توحيد الله تعالى وطاعته، فكلما كان المرء أعظم توحيداً وأكثر طاعة كلما اكتمل طيب حياته وسرورها، وكلما ابتعد عن حقائق التوحيد ومعاني الطاعة كلما ازداد وحشةً وهماً وألماً، فلننظر كيف يعيش الموحد الذي جعل رضا الله غاية له في جميع أعماله كيف يبدله الله بثقل التكليف راحة واطمئناناً وسكينة؟ ولننظر أخرى إلى من شرد عن هدى الله كيف يبدله الله بالمشتهيات المحرمة ألماً وحيرة واضطراباً(أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الملك:٢٢].

الحياة.. التوحيد.. الطاعة

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) [إبراهيم:٢٤].

يقول سيد قطب رحمه الله : (وهذه الآيات تدل على أن التوحيد هو الأساس الذي يقوم عليه البناء، ولكن هذا الأساس لا يكفي في النجاة دون العمل الصالح وتزكية النفس واستقامة السلوك، كما لا يكفي أساس البناء دون رفع الأعمدة والجدران ليتم الانتفاع من البناء، ولا تكفي جذور الأشجار دون أن تثبت الأغصان وتثمر الثمار، أما كلمة الشرك فهي كالشجرة الخبيثة التي لا أصل لها ولا ثبات، وقد تهيج وتتعالى ويخيل إلى الناظر أنها أقوى من الشجرة الطيبة، لكنها تظل هشة لا جذور لها تترسخ بها، وما هي إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض، فلا يبقى له قرار، وهذا هو حال المشرك في اضطرابه وقلقه وعدم رسوخه وهو مقطوع الأصل لا صلة له بالفطرة السليمة التي أوجدها الله في النفس)[٤].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : (فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع)[٥].

فأثر هذه الكلمة الطيبة التثبيت في الدنيا وفي الآخرة كما قال الحق تبارك وتعالى في آخر الآيات(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) [إبراهيم:٢٧].

> إن الفرق بين من حقق توحيد الله وبذل وسعه في طاعة الله وبين المشرك المتدنس بأنواع المعاصي كالفرق بين الحي والميت

فتوحيد الله جل وعلا من حققه دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهو سبب لمغفرة الذنوب وتكفيرها، وسبب لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما، ويمنع الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ويحصل لصاحبه الهدى والكمال والأمن التام في الدنيا والآخرة، وهو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم من قال: (لا إله إلا الله خالصاً من قلبه. وجميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، وتوحيد الله جل وعلا يحرِّر العبد من رِقّ المخلوقين والتعلُّق بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والتوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهوِّن عليه الآلام، وبقدر زيادة العبد من الطاعة الخالصة لله تعالى بقدر ما ينال من الراحة والاطمئنان والحياة الطيبة. يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : "وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم"[٦].

إن التوحيد الذي ننشده هو الذي يملئ النفس حركة وفعلاً، يملئ الروح تقىً وخشية، إنه التوحيد الذي يلتجئ صاحبه إلى الله في كل ملماته، فلا يخشى إلا الله ولا يرجو إلا الله، وبه يستدفع آلام الحياة الدنيا وأوصابها وعذاباتها، وعلى الله يتوكل في جميع أموره، ومن كان هذا حاله صار الله سمعه وبصره... وثمة الحياة.

في ظلال الحياة الطيبة

إن العمل الصالح أصل عام لتحصيل الحياة الطيبة بشموله وعمومه، فمن فروعه الجالبة للحياة الطيبة ذكر الله تعالى ومن أعظمه قراءة القرآن.

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء:٨٢].

وقال سبحانه عن القرآن: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ) [فصلت:٤٤].

ويقول سبحانه عن أثر ذكره على قلوب المؤمنين: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:٢٨].

إن الذاكر لله هو الحي حقيقة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم(مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[٧].

يقول الصحابي الفقيه معاذ بن جبل رضي الله عنه : (ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. قالوا: يا أبا عبد الرحمن! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع، لأن الله تعالى يقول في كتابه: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) [العنكبوت:٤٥][٨].

قيل لأبي الدرداء وكان لا يفتر من الذكر : كم تسبح في كل يوم؟ قال: مائة ألف، إلا أن تخطئ الأصابع[٩].

قال أبو الحسين الوراق: (حياة القلب في ذكر الحي الذي لا يموت، والعيش الهني الحياة مع الله تعالى لا غير، ولهذا كان الفوت عند العارفين بالله أشد عليهم من الموت، لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق، فكم بين الانقطاعين؟)[١٠].

يقول ابن القيم رحمه الله عن حال شيخه شيخ الإسلام وما مر به من سعادة وهناء وراحة وهو مستغرق في ذكر الله مع أنه مسجون:

(وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي! أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا، وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) [الحديد:١٣]^ وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً وأقواهم قلباً وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها)[١١].

ومن أغذية الحياة الطيبة أداء الفرائض

إن الإنسان قد طبع بطابع الهلع، فإن أصابه الخير منع، وإن أصابه الشر جزع، وهذا ولاشك اضطراب يعتري الإنسان إلا إذا كان مصلياً قال الله تعالى: (إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) [المعارج:١٩] ❖(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) [المعارج:٢٠] ❖(وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) [المعارج:٢١] ❖(إِلَّا الْمُصَلِّينَ) [المعارج:٢٢] إنها صورة للأمن النفسي وسكينة الحياة التي يشعر بها المصلي.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات). قال: قال الحسن: وما يبقي ذلك من الدرن؟[١٢].

وقال صلى الله عليه والسلام: (أرحنا بالصلاة يا بلال)[١٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حبب إليّ الطيب والنساء، وجعل قرة عيني في الصلاة)[١٤].

وصدق ابن رواحة حين قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

إنها لذة الطاعة، وحلاوة المناجاة، وأنس الخلوة بالله، وسعادة العيش في مرضاة الله؛ حيث يجد العبد في نفسه سكينة، وفي قلبه طمأنينة، وفي روحه خفة وسعادة، مما يورثه لذة لا يساويها شيء من لذائذ الحياة ومتعها، فتفيض على النفوس والقلوب محبة للعبادة وفرحًا بها، وطربًا لها، لا تزال تزداد حتى تملأ شغاف القلب فلا يرى العبد قرة عينه وراحة نفسه وقلبه إلا فيها... وثمة الحياة.

> لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر)[١٥].

فالصلاة تورث السكينة والاطمئنان، وتغسل الذنوب، وتمحوها، وبها تحصل راحة الفؤاد، وبها قرة العين، وهي تكفر الذنوب والخطايا... وثمة الحياة.

يقول عدي بن حاتم رضي الله عنه : (ما دخل وقت الصلاة حتى أشتاق اليها)، وعنه: (ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء)[١٦].

(إن الصلاة صلة ولقاء بين العبد والرب. صلة يستمد منها القلب قوة، وتحس فيها الروح صلة؛ وتجد فيها النفس زاداً أنفس من أعراض الحياة الدنيا.. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وهو الوثيق الصلة بربه الموصول الروح بالوحي والإلهام.. وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زاداً للطريق، وريّاً في الهجير، ومدداً حين ينقطع المدد، ورصيداً حين ينفد الرصيد..)[١٧].

ومن أغذيتها الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنفال:٢٤].

قال ابن قتيبة: (لما يحيكم) يعني الشهادة، وقال بعض المفسرين: (لما يحيكم) يعني الجنة فإنها دار الحيوان وفيها الحياة الدائمة الطيبة، والآية تتناول هذا كله، فإن الإيمان والإسلام والقرآن والجهاد يحيي القلوب، الحياة الطيبة وكمال الحياة في الجنة والرسول داع إلى الإيمان والى الجنة فهو داع إلى الحياة في الدنيا والآخرة)[١٨].

(إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة..

إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهاق الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة، ومن الخضوع المذل للأسباب الظاهرة والحتميات القاهرة، ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات سواء..

فهذه هي الحياة الطيبة وفي سبل تحصيلها فليتنافس المتنافسون، وإليها فليسارع المسارعون، ومن أجلها فليسابق المسابقون.. (ولكن كيف يصل إليها من عقله مسبي في بلاد الشهوات، وأمله موقوف على اجتناء اللذات، وسيرته جارية على أسوأ، العادات ودينه مستهلك بالمعاصي والمخالفات، وهمته واقفة مع السفليات، وعقيدته غير متلقاة من مشكاة النبوات)[١٩].

الحياة.. الشرك .. البدعة.. المعصية

فكما أن الموحد يشعر بالهناء والسعادة والغبطة والطمأنينة فبعكسه المشرك يطارده الشقاء والألم، وإن بدا للناظر عكس ذلك فإن اختلال الوجهة وسوء المنقلب وضعف البصيرة تورث هماً وعنتاً في الفؤاد واختلالاً في المفاهيم

حتى يتبدا للرائي الخطأ صواباً والصواب خطأً، وهذا كله مرده الإعراض عن طريق الحق، ولا شك أن هذا مصدر ضنك عظيم للإنسان.

ليس من مات فاستراح بميت... إنما الميت ميت الأحياء

إن الفرق بين من حقق توحيد الله وبذل وسعه في طاعة الله وبين المشرك المتدنس بأنواع المعاصي كالفرق بين الحي والميت قال تعالى(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام:١٢٢].

لقد ضرب الله الأمثال ليبين لنا حال المشرك واضطرابه وبؤسه وشقائه، فمثل المشرك كمن يسقط في هوة سحيقة فتخطفه الطير الجارح فتمزقه تمزيقاً: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) [الحج:٣١].

إنها صورة بائسة تقشعر لها الأبدان وتهلع لرؤيتها الأعين وتضطرب لهولها القلوب تأمل المشرك وقد سقط في محيط سحيق فتهتوشه الطيور الجارحة من كل حدب وصوب، وتمزقه بمناقيرها وقوادمها، فلا يدري أين رأسه من رجليه؟ بل صار هباء منثوراً.

وصورة أخرى تخلع القلوب فمثل المشرك كمن يسقط في هوة سحيقة ليس لها قرار سقوط تضطرب لأجل الأفئدة... وما لجرح بميت إيلام.

والمشرك حيران لا يدري إلى أين يتجه وأي طريق يسلك بل هو يتخبط تخبطاً، قال الله تعالى: (قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام:٧١].

ولكن... من هو المشرك الذي يستحق هذه الأمثال المضروبة؟

إن المشرك هو من اتخذ نداً مع الله سواء كان هذا الند في ربوبية الله أو ألوهيته قال الله تعالى: (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة:٢٢]، واتخاذ الند لله أعظم الذنوب فقد روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: (أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك...)[٢٠]، ويقول صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[٢١].

يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله معرفا الشرك بأنه: (إشراك دعاء غير الله مع الله في اعتقاد الإلهية وفي العبادة)[٢٢]

فمن صرف عبادة لله وجعلها لغيره فقد أشرك بالله، كمن يدعو غير الله أو يسجد لقبر آدمي ولو كان صالحاً أو ذبح لغير الله أو نذر لغيره فقد وقع في الشرك ووقع في الحيرة ووقع في الاضطراب ولابد.. وثمة الشقاء.

والابتداع بريد الشرك وطريق من طرقه وسبيل من سبله، أن فساد الاعتقاد في الله يولد وحشة في القلب، فإلى من يلتجئ من اعتقد أن الله ليس بخارج العالم ولا داخله؟ وإلى من يرجع من اعتقد أنه حال في ذات الله؟ أو أن الله متوحد معه؟ نعوذ بالله من الخذلان.

لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن إن لم يتدار كني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وهأنذا أموت على عقيدة أمي أو قال: عقيدة عجائز نيسابور

يقول ابن تيمية رحمه الله : (وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة بل وبالتصوف الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارى كما أنشد الشهرستاني في أول كتابه لما قال:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر

على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأنشد أبو عبد الله الرازي في غير موضع من كتبه مثل كتاب أقسام اللذات:

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا

وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا:

لقد تأملت الطرق الكلاميةوالمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ: وكان ابن أبي الحديد البغدادي من فضلاء الشيعة المعتزلة المتفلسفة، وله أشعار في هذا الباب كقوله:

فيك يا أغلوطة الفكر

حار أمري وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما

ربحت إلا أذى السفر

إيابه بعد سفره بأذى السفر!

وابن رشد الحفيد يقول لما حضره الموت: أموت ولم أعرف شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى الممتنع ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت ولم أعرف شيئاً ـ حكاه عنه التلمساني وذكر أنه سمعه منه وقت الموت).

وهذا إمام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويقرره واختار مذهب السلف، وكان يقول: يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وهأنذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: عقيدة عجائز نيسابور.

وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك، لما حضرته الوفاة أنشد: إن كان منزلتي في الحب عندكم... ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي... أمنية ظفرت نفسي بها زمناً... واليوم أحسبها أضغاث أحلام...)[٢٣].

إنه الجهل بالله والعلم بأغلوطات العقائد التي تورث الوحشة.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله

وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم

فليس لهم حتى النشور نشور

قال ابن تيمية رحمه الله: (إن القلب إذا كان خالياً من معرفة الحق واعتقاده والتصديق به كان معرضاً لأن يعتقد نقيضه ويصدق به لا سيما في الأمور الإلهية التي هي غاية مطالب البرية، وهي أفضل العلوم وأعلاها وأشرفها وأسماها، والناس الأكابر لهم إليه غاية التشوف والاشتياق، وإلى جهته تمتد الأعناق، فالمهتدون فيه أئمة الهدى كإبراهيم الخليل وأهل بيته، وأهل الكذب فيه أئمة الضلال كفرعون

وقومه، فمن لم يكن فيه على طريق أئمة الهدى كان ثغر قلبه مفتوحا لأئمة الضلال)[٢٤].

أما من يتدنس بشيء من المعصية فإنه يقع في شيء من الألم والشقاء بحسب عصيانه؛ فكلما زاد عصيان العبد كلما زاد ضنكه وبؤسه، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) [طه:١٢٤].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : (أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيش)[٢٥].

في جفنه أرقٌ، في نفسه فرقٌ

في جسمه سقمٌ، في عقله دخل

إن الذنوب والمعاصي ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء إلى الشقاء الدائم؟

إن العبد الذي يكثر من الطاعات ويكثر كذلك من إيذاء المؤمنين هو كمن يبني جبال راسيات ولكن على طبقة الماء! فأنى لها الصمود.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[٢٦].

إن باغي الجنة لا بد له أن ينحر المعصية على أعتاب الطاعة إكراما لجنة عرضها السماوات والأرض.

إنَّ سنّةَ الله لا تحابي أحَدًا، ونواميسه لا مجال فيها للاستثناء، قال تبارَكَ وتعالى: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) [القمر:٤٣].

وقد كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يفقهون شؤم المعصية، فهذا أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه يسير في العسكر فيقول: (ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين! بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات)[٢٧].

حينما احتضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قال: لا تبكوا علي فإني لم أتنطف بخطيئة منذ أسلمت)[٢٨].

خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال: (يا رب! إن ذنوبي عظيمة وإن قليل عفوك أعظم منها، اللهم فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي، قال: فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال: لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام، وقد روي عن غير واحد نحو ذلك، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن)[٢٩].

إنها الخطيئة المثبطة عن البصيرة الإيمانية،

> والأعمال الصالحة كثيرة متفاوتة في درجاتها وشعبها، ولكن أعظمها وأهمها توحيد الله تعالى وطاعته

والتدفق الفكري، والتوفيق الرباني، والقوة الشرعية، إنها خطايا السمع والبصر، خطايا الفؤاد، خطايا القدمين واليدين(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء:٣٦].

إن اصطحاب هذه الخطايا وأمثالها لقمن أن يورث وحشة في القلب، وتأنيباً للضمير، وازوراراً عن الحق، وبطئاً في السير إلى الجنة، وضعفاً في الزاد الإيماني، وقبل ذلك وبعده بعد عن الله واستحقاق للعقوبة.

يقول ابن القيم رحمه الله : (إن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلا وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار أعلاه أسفله)[٣٠].. وثمة الشقاء.

الهوامش:

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٩).
(٢) مدارج السالكين (٣/٢٥٩).
(٣) العبودية (ص٥٤).
(٤) في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٩٨).
(٥) إعلام الموقعين لا بن القيم (١/١٧١).
(٦) القول السديد في مقاصد التوحيد (ص٢٥).
(٧) صحيح البخاري (٥/٢٣٥٢)، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته... رقم (٧٧٩).
(٨) سير أعلام النبلاء (١/٤٥٦).
(٩) سير أعلام النبلاء (٢/٣٤٨).
(١٠) إغاثة اللهفان (١/٧٢).
(١١) الوابل الصيب (١/ ٦٧).
(١٢) صحيح مسلم (١/٤٦٣).
(١٣) رواه أبو داود في سننه (٤/٢٩٦) (٤٩٨٦)، والإمام أحمد في مسنده (٥/٣٦٤)، وذكر الزيلعي في تخريج الآثار عن بعض طرقه أنه على شرط البخاري (١/٦٣)، ومثله قال الوادعي في الجامع الصحيح (٢/٨١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٧٢).
(١٤) أخرجه الإمام النسائي في سننه في باب عشرة النساء (٧/٦١)، ورواه أحمد في مسنده (٣/١٢٨).
(١٥) صحيح مسلم (١/٢٠٩).
(١٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٤).
(١٧) في ظلال القرآن (١/ ٤١).
(١٨) الفوائد (١/ ٨٩) بتصرف يسير.
(١٩) مدارج السالكين (٣/ ٢٦٧).
(٢٠) صحيح البخاري (٤٤٧٧)، صحيح مسلم (٣١٨٢).
(٢١) صحيح مسلم (٢٩٨٥).
(٢٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٣).
(٢٣)انظر: الدرء (١/٨٩)، ومجموع الفتاوى (٤/٧٣)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧١).
(٢٤) درء تعارض العقل والنقل (٣/٩٥).
(٢٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٧).
(٢٦) صحيح مسلم (٦٧٤٤).
(٢٧) سير أعلام النبلاء (١/١٨).
(٢٨) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٤)، ونسب تخريجه لابن سعد (٤/ ٣٧)، والاستيعاب (١١/ ٢٩١).
(٢٩) البداية والنهاية (٩/٦٧).
(٣٠) الجواب الكافي (٦٣).

كانت الطرق الصوفية من الأسباب الرئيسة لمرض الأمة الإسلامية مما سبب تراجعها عن مكانتها وأمجادها العظيمة، وهذا مقرر بين كل المؤرخين لتاريخ الأمة الإسلامية فقد كانت الطرق الصوفية هي السبب في نشر الجهل والخرافة وحرب العلم والمعرفة، كما أن الطرق الصوفية هي السبب في نشر كثير من العقائد الفاسدة مثل التواكل وترك العمل والبذل بحجج غير صحيحة كالرضي بالقدر بدلاً من مدافعة القدر بالأسباب التي شرعها الله من رد عدوان الظالمين والعلاج عند المرض والعمل لكسب الرزق وغيرها كثير، كما أن الطرق الصوفية كانت العامل الحاسم في نشر الموبقات كالمسكرات والحشيش وما يصاحبه من فجور الزنا واللواط وصبغ كل ذلك بصبغة شرعية !!

والطرق الصوفية لا تزال لليوم تنخر في جسد الأمة الإسلامية وتبث فيها ميكروباتها وجراثيمها، ومن هذه الجراثيم تعطيل الوحدة الإسلامية عبر توليد مئات الطرق بل آلاف الطرق عبر تاريخها الأسود، فالدكتور عبد المنعم الحفني صاحب كتاب "الموسوعة الصوفية"

أحصى ما يزيد عن ٣٠٠ طريقة صوفية متواجدة في العالم العربي سوى ما يوجد في العالم، يمكن الحصول على قائمة بها من كتاب " نظرية المؤامرة أوهم أم حقيقة ؟ (الصوفية)، لموفق العطار، دار الأوائل ص ٢٤٢، ٣٣٥).

وهذا العدد ٣٠٠ طريقة هو ما استطاع د. الحفني الوصول إليه، وإلا فهناك طرق لم يعرف بها الحفني قطعاً، بل هناك عملية توالد للطرق لا تزال مستمرة فقد نشرت مجلة " الصوفية " التابعة للمجلس الصوفي الأعلى بعددها ٣٤١، ٢٠٠٧/٦ مولد الطريقة الدسوقية المحمدية !!

وقد كان مولد هذه الطريقة بطريقة رسمية ووفق قانون الطرق الصوفية وبموافقة المجلس الصوفي الأعلى، وحضر حفل إعلان

الطـــرق الصـــوفيـــة وتعطيل الوحدة الإسلامية

أسامة شحادة

هذه الطريقة شيخ مشايخ الطرق الصوفية ود.أحمد السائح ود.أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وغيرهم من الدكاترة !!

فهذه الأعداد الكبيرة للطرق الصوفية هي عامل تفتيت للقوة الإسلامية، ويا ليتها تقتصر على ذلك بل تجد أن الطريقة الواحدة يتم تفتيتها إلى طرق فرعية لتتضاعف المشكلة وتكون الوحدة الإسلامية سراب لا يمكن التفكير به !

فالطريقة الشاذلية مثلاً في المغرب لها ٩ طرق فرعية هي: الغازية، الحبيبية، الكرزازية، والزيانية، الناصرية، الشيخية، السهيلية، اليوسفية، الزروقية. وفي مصر لها ١٢ طريقة فرعية هي: البكرية، الخواطرية، الوفائية، الجوهرية، المكية، الهاشمية، السمانية، العفيفية، القاسمية، العروسية، الهندوشية، القاروجية. (نظرية المؤامرة، ٣٤١ص).

ولمعرفة حال وواقع الطرق الصوفية ننصح بمطالعة أول دراسة ميدانية موثقة للطرق الصوفية في سوريا قام بها الباحث د. عبود العسكري قابل فيها: ١١ شيخ أو من ينوب عنه من طرق النقشبندية. ١٠ شيوخ أو من ينوب عنهم من طرق القادرية الرفاعية. ٩ شيوخ أو من ينوب عنهم من طرق الشاذلية. وشيخين من شيوخ الطريقة العقيلية. وشيخ الطريقة المولوية.

في هذه الدراسة المنشورة عن دار النمير بدمشق بعنوان " الطرق الصوفية في سورية " توصل لعدد من النتائج منها ما يلي:

١- ظهور طرق صوفية فرعية نتيجة للخلافة أو الاختلاف أو التطور التاريخي.

٢- ظهور مشكلات فيمن يخلف الشيخ بعد وفاته.

٣- انتشار ظاهرة ولاية العهد الملكي، إذ يحاول الشيخ قبل أن يتوفى أن يجعلها في أكبر أولاده، سواء أكان مؤهلاً أم لا ؟

٤- أغلبية مريدي الطرق عددياً هم من الأميين أو المتعلمين تعليماً أولياً.

٥- بعضهم سكتوا ولم يتكلموا في كرامات شيوخهم وأري ذلك تقية كي لا تثار في وجوههم اعتراضات هم بغنى عنها، فكلهم قالوا الاستقامة عين الكرامة وهناك نسبة لا بأس بها منهم هي أبعد ما تكون عن الاستقامة. (ص ٢٧٤)

هذه بعض النتائج التي توصل لها العسكري في دراسته، ومن اللافت للنظر في دراسته أن هناك شيوخ من من قابلهم العسكري في إجاباتهم على أسئلة العسكري خروج عن المألوف في الفكر الصوفي وتناقض في المواقف والحكم على المفاهيم والأشخاص.

وقد يكون سبب هذا هو ما توصل له العسكري من أن "الصوفي المنتظم في طريقة يخفي من معتقده أكثر مما يعلن، وخاصة إذا كان هناك تعارض مع النصوص الدينية"! (راجع العسكري، التصوف قراءة في المصطلح والمعتقد والسلوك، المقدمة ص:ج).

وقد تابعنا في الفترة الماضية صراع المغرب والجزائر على الطريقة التيجانية المتغلغلة في أفريقيا، ومحاولة كل بلد منهما على كسب ود ونفوذ التيجانيين، مما أدى عمق الخلاف بين البلدين وشتت وحدة التيجانيين بين البلدين !!

وختاماً كيف يمكن توحيد الأمة الإسلامية والطرق الصوفية تعمل على تفتيتها عبر توليد مئات الطرق الفرعية، والتي تتنافس على الزعامة وكثرة الأتباع، ويسير في ركاب هذه الطرق الجهلة والأميين لكن يقودهم بعض المثقفين بل ودكاترة في الأزهر وغيره !! إذا لم تتفق الطرق الصوفية على صيغة لذكر الله عز وجل على طريقة سيد العابدين وإمام السالكين محمد بن عبد الله فعلى ماذا يمكن أن تجتمع الطرق الصوفية؟؟ وكيف يمكن الوصول للوحدة الإسلامية؟؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد.. فإني مسلم ألماني الأصل والجنسية، اعتنقت الإسلام في الحادية والعشرين من عمري، ثم قضيت معظم حياتي في الإسلام، ولم أتعرف على التصوف إلا متأخراً. ولقد سبق لي أني درست في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونزلت ضيفاً على الدكتور محمد تقي الدين الهلالي – رحمه الله وغفر له ما وقع منه من أخطاء.

لقد وضعتم في موقعكم قصص أناس تركوا التصوف، وأنا بدوري بإمكاني أن أقصص قصتي لماذا توجهت نحو التصوف بعد أن كنت سلفياً! ولا أريد أن أخفي عليكم أنه يوجد لدي مآخذ كثيرة على الصوفية من ناحية وعلى المتسلفين (وليست السلفية الحقة) من ناحية أخرى، وفي الواقع هدفي هو الوفاق بينهما آخذاً من كل منهما ما فيه الخير وما هو لا يتعارض مع الكتاب والسنة، وتاركاً كل ما فيه السلبيات وما هو لا يتفق مع الكتاب والسنة والأدب. وإني أشدّ حرصاً على عدم الأخذ بالأحاديث الضعيفة ناهيك الموضوعة.

كنت أشتغل موظفاً في أحد المراكز الإسلامية في ألمانيا التي يشرف عليها مسلمون عرب ادعوا السلفية (ربما من أجل الحصول على الدعم المادي والمعنوي من الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية – والله أعلم)، وادعوا أنهم هم يمثلون الإسلام الصحيح، ولكني رأيت منهم عدة مخالفات لشرع الله وخاصة عندما حاولوا كسب عاطفة الكفار ومودتهم لتصحيح صورتهم في الإعلام.

ولقد تعرفت على مسلمين ألمان تابعين لبعض الطرق الصوفية، وقد غلب على بعضهم الجهل وعلى بعضهم الآخر عدم الالتزام بالأحكام الشرعية.

حتى إذا جلست ذات مساء مع عدد من هؤلاء المسؤولين عن المركز الإسلامي والجمعيات الإسلامية في حديقة أحدهم يشوون اللحم ويتحدثون مع بعض، فلما دخل وقت المغرب لم يبادر أحد منهم يدعو إلى الصلاة، وعندما أخذ الظلام يشتد، قلت: «فلنصل»، ولم يستجب أحد منهم، بل انصرفوا وتفرقوا، مضيعين فرصة صلاة الجماعة وحتى أداء صلاة المغرب في وقتها.

ثم زرت جماعة من هؤلاء الصوفية في منتجع عام، وعندما دخل وقت الصلاة بادر أحدهم برفع الأذان ثم صلوا جماعة بين ظهراني الكفار وأمام أعينهم ولا يخافون لومة لائم. فالطرف الأول اتهم الطرف الآخر بعدم صحة عقيدتهم، والطرف الآخر اتهم الطرف الأول بعدم تطبيق السنة النبوية، الأمر الذي جعلني أفكر كيف يمكن الجمع بين أمر الطرفين. وكنت آنذاك أعتقد، على رأي السلفية، أن معرفة صحة الأحاديث وعدم صحتها هو كل شيء لاستنباط الأحكام. ولكن فيما بعد أدركت أن معظم الخلافات ليس ناشئاً عن ذلك بل عن فهم نصوص الأحاديث ومدلولها، وأنه لا بد من اتباع مذهب فقهي معين أساساً، ولو بعدم التقيد في كل مسألة. ولا أريد أن أطول حديثي هنا، ولكن الشيء الذي أريد أن أقول هو: إن إسلام المتسلفة الرسمي في السعودية، والذي يصدّر إلى أنحاء العالم، إسلام ناشف جداً، لا يكاد يساغ ومنفر لكثير من المسلمين وغير المسلمين الذين عندهم إحساس روحي أكثر من غيرهم. وهذا الإحساس الروحي الذي لا يمكن إنكار أن له أسساً في الدين الإسلامي يجب اعتباره ومراعاته، ولذلك نحتاج إلى تصوف معتدل ومنقح تنقيحا جيدا ودقيقاً، مع ترك كل التعاليم والمعتقدات الباطلة، في أوسع إطار تسمح له السنة النبوية الشريفة، متجنباً المفهوم الواسع (والخطأ) للبدعة الذي تنادي به المتسلفة. « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا »..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

من أخيكم في الإسلام: أبي أواب

مـــن البريـــد
يجيب عليها السيد/
حسن بن علي البار

((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ))[الحشر:١٠] وأُضيف مُخَصِّصاً بعد التعميم: ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))[الأعراف:١٥١].

قد تَعجَب أخي الكريم - المُحب للحق- من اتفاقي معك في كثيرٍ مما ذكرت، وتأييدي لموقفك، بل وإعجابي به، فهو دليلٌ على أريحيتك، وعلى عدم تعصُّبك لطائفةٍ دون أخرى، وإنما الحق مطلوبك، وموافقة مراد الله مقصودك، وهل جاءت الشرائع إلا بالأمر بالبحث عن الحق، وبالإعانة على تحصيله، وما

وصلتنا هذه الرسالة على بريد الموقع وقد تفضل بالإجابة عليها السيد حسن بن علي البار المتخصص في الدراسات الشرعية وعضو هيئة تحرير المجلة وتعميماً للفائدة ننشرها هنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم:

أخي الحبيب، أشكر لك رسالتك، وأشكر لك ما ظهر فيها من وضوح وصدق لهجة، وأبدأ من حيث انتهيتَ أنت في رسالتك، بقوله تعالى:

> فكل الناس أمام الحق صغار، والحق يعلو ولا يُعلى، ولا تَظُنن أن أحداً من الناس يُوافق الحق في جميع أحواله وأقواله غير النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنْ رجُلٌ أقربُ إلى الحق من رجل، ورجلٌ مبتعد عن الحق بقدر مفارقته لهدي ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم

مُصيبة كثيرٍ من المسلمين إلا في تمسُّكهم بآراء الرجال، وبتعصُّبهم للأشخاص، واتِّباعهم لهم في الحَسَن والقبيح من الأقوال والأعمال.

وإياك أخي في الله أن تظُنَّ أننا ندعوك أو ندعو أحداً من المسلمين لمثل هذه التعَصُّبات، فكل الناس أمام الحق صغار، والحق يعلو ولا يُعلى، ولا تَظُنَّن أن أحداً من الناس يُوافق الحق في جميع أحواله وأقواله غير النبي ﷺ، ولكنْ رجُلٌ أقربُ إلى الحق من رجل، ورجلٌ مبتعد عن الحق بقدر مفارقته لهدي ومنهج النبي ﷺ.

ولكن إذا صَحَّ هذا في الأفراد فإنه لا يجوز ولا يصِحُّ في المناهج. فغير جائزٍ أن يترك الله –

> فمذهب السلف أصَح المذاهب، ومنهجهم أعدل المناهج، وطريقتهم هي الطريقة التي زكاها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يُزَك طريقةً غيرها، بل أخبر أنه لا يزيغ عنها إلا هالك والعياذ بالله

سبحانه- خلقه هملاً، دون أن يبيِّنَ لهم محجةً يستمسكون بها، وهدياً صالحاً يراجعونه كُلَّما اختلفوا حتى يتيسَّر لكل طالبٍ للحقيقة - من جهتها- أن يعلم مكانه منها.

وعليه، فإذا كان الحقُّ غيرَ موجود بكماله في أحدٍ من الناس بعد رسول الله ﷺ، فإن أمر المناهج ليس كذلك، بل لقد تركنا رسول الله ﷺ على محجةٍ بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك كما صحَّ في الأخبار، بها تُوزن المناهج، والأقوال، والأعمال، والأشخاص؛ فبقدر قُربهم منها يكونون على الهُدى المستقيم، وبقدر بُعدهم عنها ينالون حظَّهُم من البُعد عن هداية الله وتوفيقه. وإذا كان ذلك كذلك، فهذه المحجة هي ما ينتسب إليه السلفيون، وقد أحسنتَ -والله- بتفريقك بين السلفية الحقة، وبين من ينتسب إليها ممن ليس له منها إلا التسمية التي أطلقها هُوَ على نفسهِ أو أُطلِقَت عليه، ثم هو بعد ذلك يسعى في هواه، ويدأب في جهالته، ولا ينفك ينسب هذا إلى مذهب السلف - رحمهم الله- والسلف منه بُرءآء. وهؤلاء موجودون في جملة المنتسبين إلى السلف.

واعتبر في ذلك أخي -وقد أكرمك الله بالإسلام بعد أن لم تكن مُسلماً- بما تعلَّمتَه عن دين الإسلام في عدله وسُمُوِّه، ثم ما رأيته من حال كثيرٍ من المسلمين - بعد أن أصبحتَ في عِدادهم- من تفريطٍ في أمر الله، وظُلم وجهل ؛ فإن كان هذا -والأمر كذلك- لا يضُر الإسلام شيئاً، فإن وجود من ينتسب للسلف وحاله مباينٌ لحالهم لا يضُرُّهم شيئاً، والحمد لله.

وعلى هذا فمذهب السلف أصَحُّ المذاهب، ومنهجهم أعدل المناهج، وطريقتهم هي الطريقة التي زكَّاها النبي ﷺ، ولم يُزَكِّ طريقةً غيرها، بل أخبر أنه لا يزيغ عنها إلا هالك والعياذ بالله. وإذا قصَّر عنها أقوامٌ، فلا بُد أن يبعث الله لدينه النقي من يقومُ به، وينتصرُ له، ويُقيمه بين العالمين. فإذا رأيتَ مِن الناس مَن قصَّرَ في ذلك، وعلمتَ أنهم مخطئون؛ فإن ذلك لا يُمهِّدُ لك العُذرَ في أن تُقصِّر مثلهم، ولا أن تبحثَ عن الحق في سبيلٍ غير الصِّراط المستقيم لظنِّ أنها لو كانت حقاً لما تركها أناسٌ وقصَّر فيها آخرون، ولكنّ الواجب أن تُبادر أنت بإحياء الحق واتِّباعه، وأن تبحث عن أهله، فإن لم تجدهم صحبتَ الأمثل فالأمثل ممن يقارب منهجهم، مع التصحيح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاجتهاد في تسديد المسيرة، فإن مَن فعل هذا يكون قد أعذر إلى الله، وأدى ما عليه.

إذا علمتَ هذا -رعاك الله وحفظك من كل مكروه- فاعلم أنك قد أصبتَ في تركِ قومٍ يؤخِّرون الصلوات عن أوقاتها ومفارقتهم إلى من لا يفعل ذلك، وينبغي أن يُعلم أن هذا الذي تذكُر ليس مما يدعو إليه السلفيون في مناهجهم وأدبياتهم، وليس مما يتخلَّق به عامَّتُهُم فضلاً عن أكابرِهم وفُضلائِهم. بل إنهم

> وأما مشايخ الصوفية فإنهم لزموا أموراً من الحق، ومن غيره، ثم دخلت عليهم الجهالات والأهواء فأحدثوا في دين الله ما ليس منه، فلا سواء

ليقررون في ذلك -اتِّباعاً للنصوص- تقريراً لا يرتضيه كثيرٌ من الناس منهم ؛ إذ إن جمهوراً كبيراً منهم يرون تكفير تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً، وبعضُ هؤلاء يرى أن مَن ترك فرضاً واحداً حتى أخرجه عن وقته متعمِّداً أنه يكفر بذلك. فكيف يكون ما تذكر -أخي الفاضل- وهو موقِفٌ عارضٌ تعتريه احتمالات مختلفة، كيف يكون حاكماً على هذه المنهجيَّة الواضحة الصارمة في هذه القضيَّة بالذات؟!

ثُم هل يضُر المنهجَ العلميَّ العقدي السلفي أن تمسَّكَ به فئامٌ قليلة في جانبه العلمي ثم لم ينفعهم ذلك في الجانب السلوكي التطبيقي ؟!.

> فمَن يترك الإسلام الصحيح بصورته السلفية إلى ما سواه تجده غالباً إنما فعل ذلك لواقعة أو عدة وقائع سلبية تتعلق بمواقف شخصية أثرت على ثقته بحملة هذا المنهج، وغيرت عنده الانطباع عنهم، وليس لأنه وجد منهجاً أجود منه

ثم بعد ذلك ألم تكُن أشرتَ في كلامك إلى أنهم قد يكونون كاذبين في دعواهم وانتِسابهم، وإنما دفعهم لهذا الانتساب ما يعود عليهم من فائدته الدنيوية من عملٍ أو وظيفةٍ، ونحو ذلك ؟!. وبالتالي، لا يكون عملُهم مُصدِّقاً قولَهم، يعني أنهم يقولون أموراً إرضاءً لمن يعملون عندهم، ولكنَّهم يفعلون ما يخالف ذلك؛ فيكونون في أفعالهم إنما يُبيِّنون لنا مدى

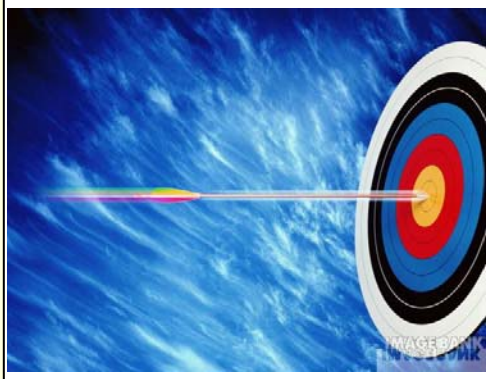

مصداقية أقوالهم، وجدِّيَّةِ تديُّنهم.

وإذا أنت بحثت عن أئمة السلفيين، ومُعظَّميهم فستجد طبقات الصحابة والتابعين وتابعيهم، وستجد أمثال: الزهري، وابن المسيب، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وابن سيرين، ومالك بن أنس، وابن عيينة، والثوري، وابن المبارك، وطاوس، وعمر بن عبد العزيز، ومكحول، والأوزاعي، وابن مهدي، والسختياني، والربيع بن خثيم، والبخاري، وابن خزيمة، وابن نصر وخلائق غيرهم من أهل العبادة، والزهد والورع، والإقبال على إصلاح النفوس، والأخذ بالعزائم. إلا أن فرق ما بين هؤلاء، وبين مشايخ التصوف، هو جمع هؤلاء للعبادة والعمل، مع كونهم على نورٍ من الله فيما يأتون ويذرون، فهؤلاء عرفوا الحق فلزموه. وأما مشايخ الصوفية فإنهم لزموا أموراً من الحق، ومن غيره، ثم دخلت عليهم الجهالات والأهواء فأحدثوا في دين الله ما ليس منه، فلا سواء. وبقي المتأخِّرون المنتسبون إلى السلف، ممن لم يكذب في انتسابه، يجتهدون في إيضاح السبيل، وبيان الحق من الباطل بموجب واجب قيام الأمة بالشهادة لله، وميثاق الله لأهل العلم أن يبيِّنوه للناس ولا يكتمونه، ثُم هم بعد ذلك ظالمٌ لنفسه، ومقتصِدٌ، وسابقٌ بالخيرات بإذن الله. ولا أعني أن هذه الأقسام الثلاثة المذكورة في هذه الآية أنه لا يدخل فيها غير السلفيين، ولكني قصدتُ أنهم -باعتبار المنهج لا الأفراد- على الطريق المستقيم، ولكنهم متفاوتون في قوَّة الأخذ به، فمنهم السابق، ومنهم التالي.

بقي أن أذكر لك وجهة نَظَري حول بعض ما ورد في رسالتك:

أولاً: قلت: (لقد وضعتم في موقعكم قصص أناس تركوا التصوف، وأنا بدوري بإمكاني أن أقصص قصتي لماذا توجهت نحو التصوف بعد أن كنت سلفياً!) وكأن في هذا إشارة إلى أنه كما يُوجد هذا، يوجد الآخر. وأنا أقول لك: نعم يوجد هذا، ويوجد الآخر، ولكني أقول كذلك: فرقٌ بين هذا وهذا. فمَن يترك الإسلام الصحيح بصورته السلفية إلى ما سواه تجده غالباً إنما فعل ذلك لواقعة أو عدة وقائع سلبية تتعلق بمواقف شخصية أثَّرت على ثقته بحملة هذا المنهج، وغيَّرت عنده الانطباع عنهم، وليس لأنه وجد منهجاً أجود منه، إلا أن يكون التبس عنده منهج التلقي في العبادة، أو منهج الحب والبُغض، فاغترَّ بمبالغات الصوفية وجهالاتهم. وأما من يترُكُ التصوُّف إلى السلفية فإن عدداً منهم يكونون من مشايخ الطرق (والأمثلة موجودة عندك، ولدينا المزيد) ومن الأحرار الباحثين عن الحق القادرين على التخلُّص من إسار العادات، وسلطة المجتمع. وقد يكون في الطائفتين من يفعل ذلك لغير هذه الأسباب كأن يتسلَّف لكي يعمل بمؤسسات السلفيين، أو يتصوَّف بعد دراسة معمقة للجوانب الفلسفية عند الصوفية (!)، ولكنّ العبرة للغالب. ونحن في موقعنا (الصوفية) ندعوك بحق لكي تقرأ هذه القصص التي سقناها من أرض الواقع، وتقيِّمها، وتعطينا قراءتك لها بعد الدراسة، فنحن مستفيدون منها إن شاء الله خالفناك أو وافقناك، فإنما نحن طُلاب حق.

ثانياً: جاء في رسالتك -أيُّها المُحِبُّ- : (يوجد لدي مآخذ كثيرة على الصوفية من ناحية وعلى المتسلفين (وليست السلفية الحقة) من ناحية أخرى، وفي الواقع هدفي هو الوفاق بينهما آخذا من كل منهما ما فيه الخير وما هو لا يتعارض مع الكتاب والسنة، وتاركا كل ما فيه السلبيات وما هو لا يتفق مع الكتاب والسنة والأدب.) وأنا أظُنُّ أن هذا هو خلاصة كل كلامي الذي ذكرته لك في هذه الرسالة. ما عند الصوفية من عبادة، وحُسن ظن، ومسارعة في الخيرات، فأهل السُّنة أولى به وإن قصَّر بعضُهُم فيه، وما نعيبه على بعض السلفيين ليس عيباً على السلفية، بل هؤلاء إما متسلِّفون -كما تذكر- أو مخطؤون لا يمثِّلون المنهج السلفي تمثيلاً صحيحاً.

ثالثاً: تقول: (ولقد تعرفت على مسلمين ألمان تابعين لبعض الطرق الصوفية، وقد غلب على بعضهم الجهل وعلى بعضهم الآخر عدم الالتزام بالأحكام الشرعية) أُريد تحذيرك -هنا- من مزلق من مزالق الهوى، ومسلك من رعونات النفوس -وأغلب الظن أنك بعيدٌ عنه إن شاء

> ما عند الصوفية من عبادة، وحُسن ظن، ومسارعة في الخيرات، فأهل السنة أولى به وإن قصر بعضُهُم فيه

الله، ولكن قد يقرأ هذه الرسالة من يكون واقعاً في شيءٍ من ذلك- وذلك أن يظُنَّ المرءُ أن مثل هؤلاء مع ما فيهم من الجهل والتفريط أصوب، أو أجدر بالحق!، ويكون الباعث على هذا الظن اشتراكك معهم في الجنس أو البلد، فمن تحرَّر من هذا المنزع من الهوى في مسألة الإسلام والكفر فآمن بالإسلام ودخل فيه مُخالفاً لقومِهِ، قد يحرص الشيطان على الإيقاع به فيه، ولو في بعض الجزئيات، بأن يرضى عن مسلمي قومه، ويُفَضِّلهم على مَن سواهم لمجرَّد أنهم من بلده، أو أنه يميل إليهم ويُحبُّهم، وهو مدخل من مداخل الهوى خفيٌ عسير، والله يبلو يوم القيامة السرائر.

> نحن محتاجون إلى التخلق الصحيح بأخلاق السلف، وتعميم روح أخذ الدين بقوة، وتصديق القول بالعمل

رابعاً: تقول: (وكنت آنذاك أعتقد، على رأي السلفية، أن معرفة صحة الأحاديث وعدم صحتها هو كل شيء لاستنباط الأحكام.) هذا ما تظُنُّه أنت، وقد يظُنُّه كذلك بعض الشباب غير الناضجين من السلفيين، وإلا فأين أنت عن قوله تعالى: ((وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)) [النساء:٨٣]، وأين أنت عن أئمة المسلمين: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد. وأين أنت كذلك عن روائع استنباطات ابن تيمية، وابن القيم، ودقتهم المنهجية. ولا يقول هذا عن السلفيين من قرأ لابن سعدي وابن عُثيمين ورأى دقيق استنباطاتهم، وغيرهم الكثير من أئمة السلفيين المتقدمين منهم والمتأخرين.

خامساً: تقول: (إسلام المتسلفة الرسمي في السعودية، والذي يصدّر إلى أنحاء العالم، إسلام ناشف جداً، لا يكاد يساغ ومنفر لكثير من المسلمين وغير المسلمين الذين عندهم إحساس روحي أكثر من غيرهم) كما قلنا كذلك سابقاً: إن أخطأ السعوديون، فكُن أنت مُصحِّحاً لهم، متعاوناً معهم على البرِّ والتقوى، أو ففارقهم إلى مَن هُم أكثرُ منهم إخلاصاً وتديُّناً، ولكنّ هذا ليس بمبرِّرٍ للتشكُّك في منهج ليس كذلك. ثُم متى كان -يا أخي- الذوق حَكَماً صحيحاً على المناهج والأفراد والجماعات، ومتى كانت الرطوبة واليُبوسة هي المعايير الدقيقة والنافعة في أمثال هذه المسائل !

وأخيراً جاء في رسالتك: (نحتاج إلى تصوف معتدل ومنقح تنقيحاً جيداً ودقيقاً، مع ترك كل التعاليم والمعتقدات الباطلة، في أوسع إطار تسمح له السنة النبوية الشريفة، متجنباً المفهوم الواسع (والخطأ) للبدعة الذي تنادي به المتسلفة) بل نحن محتاجون إلى التخلُّق الصحيح بأخلاق السلف، وتعميم روح أخذ الدين بقوَّة، وتصديق القول بالعمل، فبهذا تُصدِّقُ أفعالُنا أقوالَنا، وبهذا لا نكون ممن يصُدُّ الناس عن دين الله الذي ارتضاه لهم، وويلٌ -واللهِ- لمن قعد بين الناس وبين ربهم يصُدُّهم بقوله أو بفعله عن منهج النبي ﷺ وصحابته الكِرام، ولو كان يدَّعيه بلِسانِه، فيا لله كم اصطاد إبليس بهؤلاء صيوده، وأحكم بهم على الغافلين قيوده، وكم تزيَّن بسببهم من باطِل، وهُجر من حق، نعوذ بالله من فتن المُضلِّين.

اللهم اشرح صدري وصدر أخي لاتِّباع الدين الحق الذي تُحِبُّه وترضاه، واجعلنا لسنة نبيِّك ﷺ متبعين، ولمنهجه مقتفين، وبسيرته متأسِّين، واجعلنا من أهل الصراط المستقيم الذين أنعمت عليهم، لا من المغضوب عليهم، ولا من الضالين.

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك أنت تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

التيجـــانيـــة

هل تحكم المغرب الإسلامي

حسام كرم

في الفترة من ٢٣- ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٦م ، عُقد في الجزائر تحت رعاية حكومية مباشرة " الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين " وذلك في قرية عين ماضي بولاية الأغواط والتي ولد بها مؤسس الطريقة أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني (١١٥٠- ١٢٣٠هـ ، ١٧٣٧- ١٨١٥م) ، وأحمد التيجاني هو الخليفة الأول للطريقة وهو من وضع أسسها التي تقوم على مبايعة الخليفة من أبناء التيجانية عملا بمبدأ الأكبر سنا وتقع قرية عين ماضي على بعد ٤٠٠ كم جنوب العاصمة الجزائرية.

يأتي انعقاد هذا اللقاء للمرة الأولى بعد انقطاع دام ٢٢ عاما ، وحضره نحو ١١١ شخصية ممثلة لثلاثين دولة منتسبة للطريقة التيجانية من أنحاء العالم ، من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا و مصر وسوريا وليبيا وتونس والسودان والسنغال وغامبيا وكولومبيا.

وتعد قرية عين ماضي من المزارات " المقدسة " لدى الضالين أتباع هذه الطريقة وتقع بها قبور أبناء وأحفاد التيجاني المؤسس ، ويذكر شهود العيان من تلك المنطقة أن الناس تحج إليها كما يحجون لبيت الله أو أكثر، وكان التيجاني قد تلقى علوم الصوفية وجهالاتها عن شيوخ عديدين من خلال أسفاره التي كانت ما بين تلمسان و وهران وتونس و مكة المكرمة و المدينة المنورة، وقد زعم أنه تلقى في أسفاره الفتح من الرسول - صلى الله عليه وسلم – حيث أخذ منه الإذن بتربية الخلق مشافهة كما لقنه وردا خاصا هو المعروف باسم " صلاة الفاتح لما أغلق " وكان التاريخ الفعلي لتأسيس الطريقة التيجانية عام ١١٩٦هـ في مدينة فاس بالمغرب ، ومنها انطلقت إلى دول إفريقيا .

ويعتنق أتباع الطريقة جملة من المعتقدات الضالة والشركية ، من بينها القول بوحدة الوجود ، وأن التيجاني قد حُفظ جسده من النار ، وأن رؤيته في المنام يوم الاثنين أو الجمعة تُدخل الجنة بغير حساب ، كما يعتقد أتباع الطريقة أن شيوخهم أعظم درجة من الأنبياء والصحابة ، وأيضا يعتقدون أن سكرات الموت قد خُففت عليهم وأنهم آمنون يوم القيامة في ظل العرش، وأبرز كتب الطريقةكتاب " الفتح الرباني فيما يحتاجه المريد التيجاني ".

حرب الإحصاءات

يتبع قادة الطريقة نفس المسلك الذي تتبعه غالبية الفرق الضالة ، من حيث المبالغة في تقدير أعداد الأتباع والأنصار ، واتخاذ تضخيم العدد وسيلة لإبراز النفوذ والسيطرة .

وحسب بعض التقديرات المنسوبة لمصادر صوفية تتراوح أعداد التيجانيين في أنحاء العالم بين ١٠٠- ٢٠٠ مليون شخص ، وفي نيجيريا يزعمون أنهم ١٠ مليون شخص . (القدس العربي ، منتصر حماده ١٩- ١٢- ٢٠٠٦م) .

ويزعم أبرز رموز التيجانية في السنغال ورئيس ما يسمى " الاتحاد الثقافي الإسلامي" أحمد غيان شيام ، أن التيجانيين في بلده نحو ستة ملايين من أصل إجمالي عدد السكان ١٠ ملايين . (العربية نت ٢٩- ١١- ٢٠٠٦م) .

ويدعي عبد العزيز بلخادم رئيس الوزراء الجزائري أن إجمالي عدد التيجانيين في العالم يبلغ ٣٥٠ مليون شخص (المصدر السابق).

التيجانية والهوية الجزائرية

يحرص النظام الجزائري على استخدام الورقة التيجانية لعدة أهداف من بينها : المواجهة مع المغرب، والمواجهة مع الحركات الإسلامية الجهادية ، حسب التوجيه الأمريكي الوارد في عدد من الدراسات الإستراتيجية الداعية إلى اعتماد التيارات الصوفية كبديل جماهيري – وربما سياسي – للتيارات الإسلامية الموصوفة بـ " التشدد " ، وكان وزير الأوقاف والشؤون الدينية الجزائري قد صرح أن الجزائر ترغب في إعادة تأهيل الزوايا والطرق الدينية بغرض الدفاع عن الهوية الجزائرية.

أحد وسائل تعميق الانتماء الصوفي داخل المجتمع الجزائري كان التركيز على " جزائرية " الطريقة التيجانية استنادا إلى مسقط رأس مؤسس الطريقة في عين ماضي ، ويقول عبد العزيز بلخادم رئيس الوزراء الجزائري أن الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين كان مناسبة لـ " جمع أشراف ومريدي هذه الطريقة في منبعها بعين ماضي حيث يوجد مسقط رأس مؤسس التيجانية الشيخ أبو العباس سيدي أحمد التيجاني" ، وأكد بلخادم أن "ارتباط اسم الطريقة التيجانية بعين ماضي لا يحتاج إلى اعتراف من أحد ما دام التاريخ والعلم يؤكدان ذلك " ، وقال أيضا إن جزائرية الطريقة التيجانية لا تحتاج الي الاعتراف .. (العربية نت ٢٩- ١١- ٢٠٠٦م)

أحد أبرز أهداف الملتقى الدولي كان تأكيد هذا المبدأ ، وحرصت وسائل الإعلام الجزائرية على نقل تصريحات للمسئولين والوفود الأجانب تؤكد ذلك ، فقال شريف محمد الغزالي حيدر، شيخ الزاوية التيجانية في غامبيا الذي حضر رفقة وفد هام ، بأنه حضر هنا بهدف" التعرف على المكان الذي ولد به وعاش فيه مؤسس الطريقة التيجانية" ، وقال رئيس الاتحاد الثقافي الإسلامي في السنغال أحمد غيان شيام أن مشاركته تهدف إلى " توطيد العلاقات بين المسلمين في كل مكان بصفة عامة وبين السنغال والجزائر بصفة خاصة " .

ولا يُخفي الرئيس الجزائري عبد العزيز بو تفليقة ارتباطه القوي بقادة الطريقة التيجانية ، فقد زار ولاية الأغواط وعين ماضي مرات عديدة ، حيث يحرص على زيارة المزار المقدس لدى التيجانيين والالتقاء بشيخ الطريقة ورموزها ، وتذكر بعض مصادر المعلومات أن بو تفليقة ينتمي إلى أصول تيجانية بالأساس (القدس العربي ، ١٩- ١٢- ٢٠٠٦م) .

التنافس الجزائري المغربي على التيجانية

في سياق الخلافات السياسية الحادة والمزمنة بين الجزائر والمغرب ، جاءت إشكالية " مقر الخلافة " للطريقة التيجانية لتعمق الأزمة من ناحية ، ولتصبح وسيلة لتحقيق نقاط تقدم من ناحية أخرى ، والمستفيد الأول من ذلك بالطبع هم أتباع الطريقة التيجانية الذين أصبحت طريقتهم محور تنافسي تسعى أطراف المنطقة بأسرها إلى إرضاءهم والتقرب منهم .

وكان المغرب قد امتنع عن إرسال وفد يمثله لحضور الملتقى الدولي في الجزائر ، وقال وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائري بوعبد الله غلام الله عن خلفيات غياب الوفد المغربي: " نحن نحكم على ظواهر الأمور، و الوفد المغربي أبلغني اعتذاراته بسبب تزامن الملتقى مع عمل مهم لهم خارج البلاد ".

في المقابل حرصت السنغال على دعم الجزائر في هذه الإشكالية ، وكان ملك المغرب محمد السادس قد قام بزيارة إلى السنغال بهدف حثها على رفض حضور الملتقى التيجاني في عين ماضي ، لكن حكومة داكار لم تستجب ، ومعروف أن السنغال لها تأثير كبير على التيجانيين في أنحاء العالم ، ومن إجمالي عدد الحضور في الملتقى الدولي شاركت السنغال وحدها بـ ٣١ شخص.

وكان لافتا أن وسائل الإعلام الجزائرية نقلت عن رئيس التيجانيين في السنغال أن المشاركة كانت من أجل توطيد العلاقة بين السنغال والجزائر ، بينما نقلت وسائل الإعلام المغربية عنه أن المشاركة كانت من أجل الجانب الروحي فقط .

سبب الخلاف أن المغرب يصر على أحقيته في استضافة مقر الخلافة لأن ضريح أحمد التيجاني موجود في مدينة فاس حيث تأسست الطريقة ، كما أن المغرب يعقد مؤتمرا سنويا كبيرا للتيجانيين ، وبذلك يكون الخلاف منحصرا بين مسقط رأس المؤسس وقبره ، أيهما أحق بهذا المقر .

التيجانية تحكم الغرب الإسلامي

يعتبر كثير من المراقبين أن التيجانية هي الطريقة الصوفية الأولى المرشحة لتقديم نموذج على السياسة الأمريكية الهادفة إلى استبدال التيارات الإسلامية بالصوفية ، وأتباع الطريقة يتغلغلون بالفعل في حكومات عدة دول في منطقة غرب إفريقيا ، وخاصة في المغرب والسنغال ، وفي موريتانيا فإن الرئيس الجديد المنتخب " سيدي محمد ولد الشيخ عبد الله " ينتمي إلى التيجانية .

تتميز التيجانية - كنموذج متوافق مع المصالح الأمريكية- بأنها تتبنى نهج " تجنب المغالبة طلبا للحكم " فهم يدَّعون أنه يجب ترك أمور الحكم على ما هي عليه لأن الله أرادها هكذا ، وقد أصبح الحديث عن التطرف والإرهاب ، والسلفية والجهادية ، عناوين ثابتة في تجمعات ومؤتمرات الطريقة التيجانية ، وقد دعا البيان الختامي الذي صدر عن الملتقى الدولي إلى محاربة التطرف الديني من خلال تأكيده على " حمل رسالة المحبة والسلام " .

مارست التيجانية تجارب عملية بالفعل في مواجهة التيارات السلفية تحديدا ، وفي السنغال مثلا ، استعانت السلطات بمشايخ التيجانية من أجل مواجهة حركة سلفية اسمها " عباد الرحمن " .

من خلال الأحداث والتغيرات الأخيرة في المنطقة ، يمكن ملاحظة عدة أبعاد لتنامي الدور التيجاني في الحياة السياسية ، منها : إبراز شخصيات تنتمي إلى التيجانية بوصفهم مرشحين لتولي مناصب مهمة ، ومنها : استغلال الانتشار التيجاني والصوفي على المستوى الشعبي لدعم المرشحين في الانتخابات ، ومنها : تطوير الخطاب الصوفي ليتجاوز حدود الأتباع والموالين إلى عامة الشعب مستخدما صياغة دينية أقل تعبيرا عن التوجه الصوفي ، ومنها : تعميق الروابط والصلات مع الجهات والمؤسسات الغربية وبخاصة المانحة .

الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .. السعي لإحياء أفكار ابن عربي جزء من تضليل أمتنا

في مقالة له بموقع مفكرة الإسلام بيّن الشيخ "عبدالرحمن عبد الخالق" أن السعي لإحياء أفكار ابن عربي والتي يتبناها الغرب ما هو إلا جزء من تضليل أمتنا.

كما استشهد الشيخ "عبد الرحمن" بقول الباحث الموسوعي الدكتور "عبد الوهاب المسيري" 'العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشارًا الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين بن عربي، وأشعار جلال الدين الرومي. وقد أوصت لجنة الكونجرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية'

وحول كتابات" ابن عربي" قال الشيخ عبد الرحمن " بنى ابن عربي كتاباته كلها على الثعلبية والمكر والخداع، وذلك بتحريف الكلم عن مواضعه تحريفًا معنويًا للقرآن الكريم والحديث الشريف، والكذب وادعاء العلم الإلهي، والرؤى، والاطلاع على ما لم يطلع عليه أحد من الخلق سواه، مع ادعائه العلم والدين والتقوى والصدق، وقد لا يوجد على البسيطة كلها من هو أكذب منه.

وأشار كذلك إلى أن كتاب ابن عربي الفصوص يحوي الكثير من الشركيات والكفر مثل ادعائه أن عبّاد العجل ما عبدوا إلا الله، وأن موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل. وأن فرعون كان صادقًا في قوله: أنا ربكم الأعلى، بل هو عين الحق، ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص.

موقع مفكرة الإسلام ١٩ من يوليو٢٠٠٧

حتى موالد النصارى لم يتخلى عنها الصوفية

تعميد طفل أثناء المولد

اختتمت في دير السيدة العذراء بجبل درنكة الاحتفالية السنوية التي تقام في كل كنائس «العذراء» بمصر، في ذكري ما يسمى لجوء العائلة المقدسة إلي مغارة قديمة في الجبل الغربي هربًا من بطش الرومان. وقام بمشاركة النصارى احتفالهم بعض الطرق الصوفية في مصر وحضر ما يقرب من مليون مسلم، أكثرهم من أهل الريف والمناطق الشعبية في مصر.

واختلطت شعور المسيحيات مع حجاب المسلمات، والرداء الأبيض الذي يرتديه بعض المسلمين بالرداء الأسود الذ يرتديه القساوسة.

واستغل دعاة التنصير الفرصة للتعرف على بعض المسلمين الفقراء الذين يجهلون الكثير عن دينهم لدعوتهم من أجل تنصيرهم مستقبلاً، كما حاول القساوسة إظهار الشعائر المسيحية أمام المسلمين لجعلهم يألفون هذه الشعائر التي ينفر منها المسلم العادي في مصر.

يذكر أن الصوفية في مصر لايفرقون بين الاحتفال بموالد المسلمين أو النصارى، حتى أنهم يحتفلون بمولد رجل يهودي بمحافظة البحيرة يلقب " بأبو حصيرة ".

صحيفة المصرى اليوم ٢٢ من أغسطس ٢٠٠٧

نصارى السودان يدعمون الصوفية ب١٠٠ مليون جنيه سوداني

أعلنت ما تسمى " بالحركة الشعبية لتحرير السودان " النصرانية تدعيم حلق تحفيظ القرآن التابعة للصوفية بمبلغ (١٠٠) مليون جنيه سوداني.

وأشاد الأمين العام للحركة الشعبية "باقان أموم" في لقاء عقده مع الشيخ "الجيلي الكباشي" ومشايخ الطرق الصوفية بقريته بالطرق الصوفية في السودان.

وأثناء الحديث تحدث معه عن السودان الجديد أو ما يسمى بالسودان العلماني، والذي زعم فيه "باقان أموم" أنه يسمح للجميع بالتدين ولا يعارض الدين في شيء.

وفى ختام اللقاء تحدث الأمين العام عن تعيين الهالك "جون قرنق" للشيخ الجيلى الكباشى مستشاراً لرئيس الحركة الشعبية لشئون الطرق الصوفية وتثبيت زعيم الحركة الحالى "سلفا كير ميارديت" له فى ذات المنصب.

صحيفة "الأيام السودانية" ١٩ من أغسطس ٢٠٠٧

عميد كلية القرآن بمصر .. المبايعة وأخذ العهد فريضة وواجب

د. جودة محمد أبو اليزيد
عميد كلية القرآن الكريم بطنطا

صرح عميد كلية القرآن الكريم بمدينة طنطا "د/جودة محمد أبو اليزيد " أن أخذ المبايعة و العهد بين الشيخ والمريد من أهم ركائز الطريق الصوفى.

وادعى أن البيعة بين الشيخ المرشد والمريد توصل إلى معرفة الحق تبارك وتعالى، وبها يسرى تأثير الشيخ فى مريده بالحال والقال ،ويتحقق الرباط الوثيق.

ثم يواصل استدلاله الفاسد ويقول "ومادام تحقيق هذه الغاية السامية موقوفة على حصول البيعة وأخذ العهد من الشيخ للمريد كانت البيعة فريضة واجبة ، من باب" مالايتم الواجب إلا به فهو واجب". ثم يضيف قائلاً " وهكذا يتضح لنا أن مهمة الشيخ مع المريد إنما هى صنع ولى لله عز وجل، وإنها استخراج الطاقة النورانية الكامنة فى ذات المريد، ولا يستطيع استخراجها إلا الشيخ المربى حامل المدد المحمدي.

جدير بالذكر أن البيعة عند الصوفية تعني أن يسلم المريد نفسه للشيخ ليفعل به ما يشاء سواء في أمور الدنيا والآخرة، وعليه أن يطيع شيخه حتى لو أمره بما يظنه المريد أنه مخالف لأمر الله.

مجلة التصوف الإسلامي – عدد رجب ١٤٢٨

فرقة صوفية تونسية تحتفل بليلة النصف من رجب على أنغام الموسيقى

قامت فرقة صوفية تونسية على المسرح الروماني بقرطاج- تونسية، بعزف الموسيقى مع الرقص والتمايل والذ تعده الكثير من الطرق الصوفية نوع من الصلة بالله، كما يزعمون. وأنشد المنشدون على امتداد ساعتين ونصف بالتمام والكمال في مدح أولياء الطرائق الصوفية من الشاذلية إلى السلامية فالتيجانية والعيساوية وغيرها. واشتملت الأغاني التي قدمتها الفرقة على مجموعة من الكلمات الشركية والتي فيها استغاثة واستعانة بغير الله، وطلب المدد من الولي. وفي نهاية الحفل قدمت الفرقة الصوفية فتاتين على خشبة المسرح، وقامتا بالغناء الصوفي، واختلطت بعد ذلك الرقصات الصوفية بصوت المغنيتان وألحان الموسيقى، لتقدم الفرقة خليطًا من النواهي التي نهى الله عنها، وهي تظن أنها بذلك تسلك طريق الرحمن.

موقع العرب أون لاين ١ من أغسطس ٢٠٠٧

المشيخة العامة للطرق الصوفية بمصر تتبرأ من الطريقة العزمية

بيـــان
صادر من
المشيخة العامة للطرق الصوفية
اطلعت المشيخة العامة للطرق الصوفية بجمهورية مصر العربية على مانشر فى مجلة الاسلام وطني باسم إحدى الطرق الصوفية مما قد يسئ الى المملكة العربية السعودية التى تربطنا بها جميعا علاقات تاريخية وثيقة ويكن لها جميع مشايخ الطرق الصوفية وابناؤها كل تقدير وحب واحترام
وتستنكر
المشيخة العامة للطرق الصوفية ما نشر وقد تم اتخاذ الإجراءات اللازمة حيال هذا الموضوع
وندعو الله تعالى لفخامة الملك
عبدالله بن عبدالعزيز
خادم الحرمين الشريفين أن يجزيه الله سبحانه وتعالى عنا وعن المسلمين خير الجزاء لما يبذله فخامته وسمو ولى عهده الأمين والحكومة السعودية الرشيدة من جهود فى سبيل رفعة الاسلام والمسلمين

أصدرت المشيخة العامة للطرق الصوفية بمصر بيانًا تتصل فيه من دعم الطريقة العزمية للشيعة، وهجومها على السعودية لدعمها لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وجاء في البيان المنشور بصحيفة الأهرام، أطلعت المشيخة العامة للطرق الصوفية بجمهورية مصر العربية على مانشر في مجلة الإسلام وطن، باسم إحدى الطرق الصوفية، مما قد يسيء إلى المملكة السعودية التي تربطنا بها جميعًا علاقات تاريخية ويكن لها جميع مشايخ الطرق الصوفية وأبناؤها كل تقدير وحب واحترام.

وتستنكر المشيخة العامة للطرق الصوفية ما نشر، وقد تم اتخاذ الإجراءات اللازمة حيال هذا الموضوع .

وفي المقابل أصدرت "الطريقة العزمية" بيانًا جاء فيه " فقد آلمنا وأحزننا نحن الطريقة العزمية (شيخاً ومريدين) ومعظم مشايخ الطرق الصوفية ومريديها البيان الصادر باسم المشيخة العامة للطرق الصوفية ، والمنشور بصحيفة الأهرام بالصفحة رقم (١٤)، لما جاء فيه من إساءات بالغة أضرت بالتصوف وأبنائه عموماً، وبالطريقة العزمية على وجه الخصوص، وإننا نرى أن هذا البيان صدر بناء على تغرير واضح من بعض أعضاء المجلس الصوفى الأعلى الذين أصروا على إصدار هذا البيان، بقصد إثارة البلبلة بين أبناء الطرق الصوفية. يذكر أن الطريقة العزمية تشن هجومًا شرسًا خاصة في العشر سنوات الأخيرة على السعودية ودائمًا ما تنعتها بداعمة إنجيل الوهابية "كتاب التوحيد"، وفي المقابل تنتصر للمعتقد الشيعي.

مجلة الإسلام وطن - عدد شعبان ١٤٢٨

المغرب من أ ك بر البلدان الإسلامية احتضانًا لظاهرة الأضرحة والمزارات

كشفت دراسة أنجزت بمنطقة قلعة "السراغنة" حول مركز لا يتعدى تعداد سكانه ٢٠ ألف نسمة وجود ٥٠ وليًا ضمن دائرة جغرافية لا تتجاوز عشرة كيلومترات٢.

حتى وصفت المغرب أنها من بين أكبر البلدان الإسلامية احتضانًا لظاهرة الأضرحة والمزارات، فلا تكاد تجد تلاً ولا سهلاً ولا هضبة ولا قرية ولا مقبرة و لامدينة إلا وقد شيد فيها ضريح أو مزار، إلى الحد الذي وصف فيه المغرب ببلد المائة ألف ولي.

كما تشير دراسة سوسيولوجية أخرى أنجزت بمنطقة "دكالة" إلى أن هذه المنطقة تعد الأكثر إيواء للأضرحة بالمغرب بعضها صغير كان الأصل فيه أشجار مقدسة تحمل أسماء لأولياء وهميين حولهم الصوفية إلى رموز للهوية المحلية ببناء قبب فوقها أو حولها، فيما البعض الآخر عمت شهرتها المنطقة برمتها لتتعداها أحيانًا إلى المناطق المجاورة. وتتميز هذه الأضرحة بحجم تجهيزاتها وأناقة زخرفها وتنجيدها، وذلك بفضل استنادها على قاعدة اقتصادية عريضة متمثلة في عزائب فلاحية وعقارات تجارية ومنشآت سكنية، بالإضافة إلى ما يقدمه الزوار من هدايا وقرابين. أما الأضرحة الصغيرة فقد كثر عددها بنسبة كبيرة' إذ قارب ألفي ضريح بمعدل ضريح في كل ثلاثة كيلومترات مربعة ، وضريح واحد لكل ثلاثمائة وسبعين فردًا في المتوسط٣. مقال لمحمد الفزاز بموقع "المسلم" ٦من شعبان ١٤٢٨

المخلب الإيراني :السفارة الإيرانية .. تسعى لنشر التشيع بمصرعن طريق الصوفية

أكد الدكتور "محمد حسن زماني" المستشار الثقافي في السفارة الإيرانية بالقاهرة عن رغبة السفارة الإيرانية في تحقيق تقارب بين الصوفية والشيعة في إيران .وقال أن هناك تشابهًا كبيرًا بين الطرق الصوفية والشيعية وأن التواصل سيحقق نوعًا من التقارب المأمول بين المذاهب الإسلامية . وكان زماني قد شارك في الاحتفال بمولد الإمام عبد الله الحسيني بمشيخة الطريقة العزمية وأكد أنه تم الاتفاق مع الشيخ الحجازي شيخ الطريقة القادرية وأحمد الحافظ التجاني شيخ الطريقة التجانية على تعرفهم بمشايخ الطرق المتشابهة معهم في إيران الشهر القادم . وادعى أن الاحتفال بمولد الإمام الحسين يعتبر حفاظًا على رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . من جانبه انتقد عبد الحليم العزمي الحسيني المتحدث باسم الطريقة العزمية الدول العربية لعدم احتفالها بمرور عام على ذكرى ما يسمى بانتصار حزب الله الشيعي على إسرائيل متسائلا هل حزب الله ليس من هذه الأزمة ؟ وزعم الدكتور "أحمد السايح" أستاذ علم الحديث بجامعة الأزهر أن أن كتب التصوف القديمة هي كتب السلف الصالح وليس هم السلفية الآن. يذكرأن مصر تعاني من اختراقات شيعية خلال الفترة الماضية، خاصة بعد حرب حزب الله مع الكيان الصهيوني، وهو ما ظهر جليًا في تجرأ بعض الصحف على سب الصحابة الكرام أمثال سيدنا عثمان بن عفان والسيدة عائشة – رضي الله عنهما . -

موقع الحقيقة الدولية٢١من أغسطس٢٠٠٧

الشيخ القرضاوي .. يدعو الطرق الصوفية لتنقية معتقدها من الشوائب

دعا الدكتور/ يوسف القرضاوي الصوفية لتنقية معتقدها من الشوائب العالقة به، وذلك في كتابه الذي صدر حديثًا بعنوان "الحياة الربانية والعلم".

وذكر القرضاوي أن مما أثر في التصوف جملة من الأشياء منها قبول الإسرائيليات، وقبولهم لغرائب الأقوال والحكايات التي تتسم بالتهويل والمبالغة، ولا يقوم على صحتها دليل.

كما قال أنهم يأخذون بكل ما ورد من أحاديث، دون التفريق بين الصحيح والضعيف والمردود، وما يقبل منها وما لا يقبل.

وأضاف " ومما أثر في التصوف الثقة المطلقة بشيوخهم، فما قاله الشيخ فهو حق وما أمر به فهو مطاع دون أن يعرض ذلك على الشرع".

جدير بالذكر أنه أن المعتقد الصوفي يرى بعدم جواز الإنكار علي شيوخ التصوف أبدًا ولو مع المنكر دليل، وأن للشيخ شريعته الخاصة ودينه المستقل فله أن يشرب الخمر أو يزني وليس لمريده أن يسأل علي شيء.

وهذا هو ما قاله ابن عربي " ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه علي شريعة من ربه ونبيه ، وقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن ، كم من رجل كأس الخمر بيده ورفعه إلي فيه وقلبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمرًا وهو ما شرب الا عسلاً ".

موقع محيط – ١٦ من أغسطس ٢٠٠٧

اليونس كو.. وتكريم شيخ الطريقة المولوية

شرعت منظمة اليونسكو هذا العام بالاحتفاء و الاحتفال بالشاعر و الفيلسوف الصوفي جلال الدين محمد بن محمد بن حسين الرومي ، والمعروف بجلال الدين الرومي أو كما يطلق عليه أو مولانا جلال الدين البلخي الرومي (Mawlana Jalal-ud-Din Balkhi-Rumi) ، وذلك بمناسبة مرور ٨٠٠ عام على ميلاده .

مدير عام اليونسكو (كويشيرو ماتسورا) يفتتح هذه الاحتفالات في السادس من الشهر الجاري (أغسطس)٢٠٠٧م بباريس ، حيث تبدأ بحلقة دراسية دولية يشارك فيها علماء بارزين و خبراء دوليين وفلاسفة من بلادٍ شتى وبخاصة (أفغانستان و إيران و تركيا)، يعقبها افتتاح معرض للكتب والمخطوطات واللوحات لمرتبطة بجلال الدين الرومي وأعماله ، ثم أداءٌ للرقص الصوفي المولوي تقدّمه فرق من البلدان الثلاثة .

المنظمة الدولية اليونسكو أصدرت بهذه المناسبة ميدالية تذكارية شرفية باسم جلال الدين البلخي الرومي.

الجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأولى التي تمنح فيها اليونسكو شخصية تاريخية مثل هذه الاحتفالات ، حيث جرت العادة أن تكون هذه المناسبات للأحداث لا للأشخاص. وتعد شخصية جلال الدين الرومي من الشخصيات الصوفية الغالية والتي تمثل انحرافا ظاهرا عن الشريعة المحمدية فهو يعتقد وحدة الوجود ونحوها من العقائد الكاسدة.